ولاة البصرة في

عهدي الراشدين والسفيانيين

إعداد/ دكتور محسن سعد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة



إن من يستقرئ التاريخ الإنسانى لدى الأمم السالفة يجد حاضرة أو أكثر من كل دولة من الدول الماضية أثرت تأثيراً بالغاً فى تسيير مجرى الأمور بها، إما إلى الازدهار وإما إلى الانحدار والزوال.

والمصر الذى نخصه بالدراسة هو من الأمصار التى شكلت تاريخ الدولة الإسلامية من عهد الفاروق إلى أن دالت الدولة العباسية على يد التتار سنة (٦٥٦هـ) الذين التهموا بغداد وأتوا على الأخضر واليابس فيها.

ولما كان هذا التأثير متعدد الجوانب فإن التوفر على دراسته بالكلية يحتاج إلى مجلدات وأزمنة طويلة، فإننا رأينا جعل الحديث عنه مقصوراً على الولاة الذين تعاقبوا عليه منذ أن أمر "عمر" بتمصير المدينة حتى أعلنت بيعتها لـ"عبد الملك بن مروان".

ومما يدلنا على أهمية البصرة فى التاريخ أنها كانت المسكن للعرب الأول، الذين انطلقوا من شبه الجزيرة العربية يحملون الدعوة الإسلامية إلى بلاد الفرس، فانساحوا فى أرض العراق وفارس فاتحين لها جاعلين راية الإسلام ترفرف على أرضها، فأقاموا حضارة أتت ثمارها بعد ذلك فى عهد العباسيين.

ولا أغالى إذا ماقلت إن البصرة أسهمت فى الحضارة الإسلامية وأثرت فى الأحداث التاريخية لهذه الدولة بشكل فاق إسهامات وتأثيرات الأمصار الأخرى مثل بغداد والقاهرة[١] على الرغم من عظم

---

(١) على الطنطاوى "أخبار عمر" ص١٢٩.

تأثير المصريين فى عهد العباسيين ثم الفاطميين. ذلك أن المدينتين لم تشهدا حدثاً مروعاً بين المسلمين بعضهم بعضاً على غرار واقعة الجمل وثورات الخوارج، تلك التى أشابت الطفل، وروعت المرأة، وأرت الرجال والشيوخ الموت غير مرة، بل إن المدينتين لم تعرفا العصبية القبلية ومايستتبعها من فتن مثلما عرفت ذلك كله البصرة.

وإلى هذا المصر -وكذا الكوفة- يعزى الفضل فى نجاح المسلمين - بعد توفيق الله لهم- فى فتح بقية بلاد فارس، فمنه كانت تنطلق جيوش الفتح، ومنه وإليه كانت تصدر مراسم تعيين الولاة على المناطق المفتوحة، وبواليه كان أهل المناطق الفارسية يستجيرون من ترويع الحرورية لهم.

ولقد اختلفت الروايات التاريخية فيما بينها حول ماإذا كان "عتبة بن غزوان" قد طلب من الخليفة الإذن ببناء مصر للمسلمين يقيمون فيه ويكون قاعدة ينطلقون منها فى حروبهم ببلاد فارس، أم أن "عمر" هو الذى طلب هذا الأمر من القائد المسلم لما رأى تغير ألوان لحوم العرب بعد طول إقامتهم ببلاد فارس.

فمن الأول مارواه "أبو عبيدة": (لما نزل "عتبة بن غزوان" الخريبة كتب إلى "عمر بن الخطّاب" يعلمه بنزوله إياها، وأنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، ويكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم.

فكتب إليه أن أجمع أصحابك فى موضع واحد، وليكن قريباً من الماء والمرعى، واكتب إلىّ بصفته.

فكتب إليه إني وجدت أرضاً كثيرة القضبة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء.

فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب، وكتب إليه أن أنزلها الناس. فأنزلهم إياها، فبنوا مساكن بالقصب[(١)].

ومن الثاني (ماروي أنه لما انتصر "سعد بن أبي وقاص" بأرض الحيرة[(٢)] وماقاربها كتب إليه "عمر بن الخطاب" أن أبعث "عتبة بن غزوان" إلى أرض الهند، فإن له من الإسلام مكاناً وقد شهد بدراً، وكانت "الأبلة" يومئذ تسمى أرض الهند، فلينزلها ويجعلها قيرواناً للمسلمين ولا يجعل بيني وبينهم بحراً.

فخرج "عتبة" من الحيرة في ثمانمائة رجل حتى نزل موضع البصرة، فلما افتتح "الأبلة" ضرب قيروانة وضرب المسلمون أخبيتهم وكانت خيمة "عتبة" من أكسية ورماه "عمر" بالرجال فلما كثروا بني رهط

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٥.

(٢) مدينة تاريخية على نهر الفرات كانت تقع بين الأنبار والكوفة، وعلى مسيرة ثلاثة أميال من هذه الأخيرة التي أسست بعد الفتح الإسلامي، كانت الحيرة عاصمة مملكة تعرف باسمها إبان القرون الثلاثة التي سبقت قيام الدولة الإسلامية. أحمد عطية الله القاموس الإسلامي.

منهم فيها سبع دساكر من لبن، منها في "الخريبة" اثنتان وفي "الزابوقة" واحدة وفي "بني تميم" اثنتان[١]).

وإذا ماأمعنا النظر في الروايتين السابقتين رأينا الرواية الأولى راجحة والثانية مرجوحة حيث إن الرواية الأولى أسندها صاحب فتوح البلدان إلى "أبي عبيدة"، بينما جاءت الثانية خالية من السند، ناهيك عن كون الرواية الأولى ذكرت أن مساكن العرب كانت في بدء التمصير من القصب وأنها بنيت من اللبن بعد الحريق الذي أصاب "الكوفة" و"البصرة"، فأرسلوا يستأذنون "عمر" ببناء المساكن من اللبن كي لا يصابوا بمثل ماأصيبوا به، فأذن لهم "عمر" على (أن لا يزيد بناء أحدهم من ثلاثة أبيات، ولا يطاولوا بالبنيان، وأن يلزموا السنة تلزمهم الدولة[٢]).

وإذا ماأراد المؤرخ أن يبرر أم "عمر" ببناء المنازل أولاً من القصب واشتراطه ماشرط في بنائها من اللبن فإنه لا يجد كبير عناء، حيث إن الخليفة أراد من ذلك أن يبقى القوم في جهاد ولا يميلوا إلى الدعة والاسترخاء، لأنه إن غلب عليهم الترف، وأضعفتهم الحضارة غلبوا كما وقع يوماً لجنود "هاني بعل" (انيبال) لما استمرؤوا العيش في إيطاليا، وذاقوا لذة المدنية، فاسترخت عزائمهم، فغلبوا على أمرهم بعد

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٢،٤٣٣. صالح العلي: خطط البصرة ومنطقتها ص٤٥.

(٢) النويري: نهاية الأدب ج١٩، ص٣٤١.

أن كانوا هم الغالبين[١] و"عمر" يعلم أن فتح البلاد لما ينتهى بعد، لذا فإنه شدد على جنده فى الأمر كى لا يجعلهم الرخاء لقمة سائغة فى أفواه أعدائهم، ويصابوا بما كان السبب فى انتصار المسلمين عليهم.

ولقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول تاريخ تمصير "البصرة" فمنهم من قال إن ذلك قد كان فى السنة الرابع عشرة للهجرة، ومنهم من قال سنة ست عشرة[٢].

وربما يعزى هذا الاختلاف إلى نزول العرب فيها قبل أن يأمر "عمر" بتمصيرها بفترة جعلت المؤرخين يذكرون لنا أكثر من تاريخ للتمصير ومهما يكن من أمر فإن العرب المسلمين لما نزلوا المكان كان أول عمل قاموا به بناء مسجدها مقتدين فى ذلك برسول الله ﷺ حين نزل المدينة بعد الهجرة إليها من مكة.

فتذكر المصادر التاريخية أنهم جاءوا برجل اشتهر بينهم بشدة النزع فرمى بسهم، وأمروا الناس أن يبنوا دورهم عند المكان الذى وصل إليه السهم لتحيط بالمسجد الذى أقيم فى منطقة وسطى ليسهل على الرعية الوصول إليه، أما عن الرجل الذى قام بتخطيطه فإنهم ذكروا لنا أقوالاً عدة فى هذا الصدد، منها: أن الذى بناه "عتبة بن غزوان" سنة أربع عشرة للهجرة وكان من قصب، وقيل إن الذى فعل ذلك هو "الأسود

---

(١) على الطنطاوى وآخر: أخبار "عمر" ص١٢٩.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص١٢٥، الخضرى محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ص٢٩٤، صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٤٢.

ابن سريع التميمى"، وهو أول من قص فيه. فقال له "مجاشع" و"مجالد" ابنا مسعود: رحمك الله! شهرت نفسك. فقال: لا أعود[١]. ثم بنى العرب بالبصرة دار الإمارة بجوار المسجد، تلى ذلك بناؤهم للدور والعناية بزراعة النخيل، فكان "أبو بكرة" أول من غرسها بالبصرة، وقال أبو المنذر: أول دار بنيت بالبصرة دار "نافع بن الحارث[٢]".

والذى لا مراء فيه أن العرب أصابوا فى اختيارهم للمكان الذى بنيت فيه البصرة؛ إذ هى فى منطقة مستوية خالية من العوارض والمرتفعات الطبيعية، فلا يوجد بها سوى جبل سنام وسفوان اللذين يبعدان عن موقع المدينة حوالى خمسين ميلاً، والمنطقة منخفضة لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من أربعة أمتار فهى بطيئة الانحدار، ويبلغ معدل انحدار الأرض فيها حوالى ٢٠,٠٠٠/١ غير أن الأرض فى أطرافها الغربية تزداد ارتفاعاً على ذلك، ومن ثم فإن أنهارها قصيرة، قليلة المياه وبالتالى فإنها لا تصلح للملاحة النهرية، ونظراً لذهاب كثير من مياه دجلة والفرات إلى المناطق المنخفضة شمال البصرة، تكونت البطائح وانقطع الماء عن المجرى الأسفل من نهر دجلة الذى أصبح بسبب هذا الانقطاع يسمى دجلة العوراء"، ولهذا فلم يكن أمام البصريين من سبيل يسلكونه ليصلوا إلى الكوفة سوى الطريق البرى[٣].

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ص١٢٩. البلاذرى: فتوح البلدان ج٢ ص٤٢٥. النويرى: نهاية الأرب ج١٩ ص٣٤١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٢.

(٣) د/ صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٢٨.

أما عن مناخ البصرة فإنه متقلب بحيث يمكن للمرء أن يعيش فى يومه أكثر من فصل من فصول العام[١].

وعلى الرغم من ذلك فإن العرب الذين أنشأوها وعاشوا على أرضها نعموا بالترف وبحبوحة العيش، إلى حد أنهم افتخروا بذلك على العرب قاطنى الأمصار المجاورة.

فهذا هو "الأحنف بن قيس" يفخر على الكوفيين أمام "مصعب بن الزبير" فيقول عن قاطنى البصرة: (نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا، ونحن أكثر قندا ونقدا[٢].

وماكان ذلك ليتحقق للعرب فى مدينة ذات تربة سبخة إلا نتيجة جهد بذلوه فى الزراعة والتجارة؛ فثغر "الأبلة" تنزل فيه بضائع الهند ليبيعها العرب إلى إخوانهم بمكة وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية. يضاف إلى ماتقدم، هذه الأموال التى كانت تأتيهم من جبايات الأقاليم التى قام البصريون بفتحها وضمها إلى الدولة، وكانت هذه الأقاليم فى زمن خلافة "عمر بن الخطاب" محدودة لم تتجاوز كور دجلة والأحواز[٣]، ويبدو أن الجباية منها كانت فى البداية غير كبيرة، ولكن

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٦.

(٢) المسعودى: مروج الذهب ج٣، ص٣٣١. والقند: "هو عسل قصب السكر". انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (قند).

(٣) تنطق أهواز على خلاف الأصل، وأبدلته الفرس فى كلامهم حاء، وكان اسمها أيام الفرس خوزستان، وقيل: اسمها هرمزشهر وهى كورة عظيمة. قال صاحب كتاب المغنى: هى سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة

الخليفة "عمر" أمر أن تتبع فى توزيع العطاء على مقاتلتها الأسس نفسها التى اتبعت فى توزيع مقاتلة "الكوفة"، وفى زمن خلافة "عثمان بن عفان" توسعت فتوح أهل "البصرة"، وشملت الأقاليم التى فى أواسط وجنوبى الهضبة الإيرانية وخراسان، فازدادت موارد الجبايات. والراجح أنها كانت كافية لعطاء الأعداد المتزايدة من المنضمين إلى المقاتلة(١).

فإذا ماعلمنا أن هذه الأموال التى كانت تأتى البصريين كل عام من هذه الأقاليم نقداً تجعل الجند يقبلون على شراء مايلزمهم من الكساء والسلاح، مما جعل السوق التجارية بالبصرة محط أنظار العرب الذين قطنوا بعيداً عنها من ناحية، ومن ناحية أخرى جعلت الخلفاء يولون أمر اختيار ولاتها جل عنايتهم، يتضح لنا ذلك جلياً إذا ماتناولنا ولاتها منذ التمصير إلى أن وليها والى "عبد الملك بن مروان".

ولاة البصرة فى عهد الراشدين

حاز المسلمون الأرض التى أقيمت عليها البصرة فى زمن "الفاروق" -رضوان الله عليه- فيذكر "ابن الأثير" فى كامله أن "قطبة ابن قتادة السدوسى" كان بهذه المنطقة يقاتل الفرس ومعه "عتبة بن غزوان" الذى كتب لـ"عمر" قائلاً: (لو كان معى عدد يسير من

منها اسم. والأهواز يجمعهن ولا ينفرد الواحد منها هوز، وأهل هذه البلاد بأسرها يقال لهم الحوز. [ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج١، ص١٣٥].

(١) صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٣٦.

المسلمين لظفرت بمن قبلي من العجم فأنفيهم عن بلادهم فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر[١]).

ولما كان من أمر نجاح المسلمين في فتح البصرة ثم تمصيرها، كان أول وال عليها من قبل الفاروق هو "عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المزني[٢]".

ولقد اختلف المؤرخون حول من ولاه أمر البصرة أهو "عمر" أم "سعد بن أبي وقاص" بأمر الخليفة. فأما من يقول إن ولايته من قبل عمر، فإنه جعلها في سنة أربع عشرة، وأن نزوله البصرة كان في شهر ربيع الأول أو الآخر، بعثه عمر إليها[٣]، فسار "عتبة" ومن معه حتى إذا كانوا بالمربد تقدموا حتى بلغوا حيال الجسر، فنزلوا، فبلغ صاحب الفرات خبرهم، فأقبل في أربعة آلاف، فالتقوا فقاتلهم "عتبة" بعد الزوال وهو في خمسمائة، فقتلهم أجمعين، ولم يبق إلا صاحب الفرات فأخذ أسيراً.

وأما الذين قالوا إن "سعداً" ولاه فإنهم جعلوا التمصير في سنة ست عشرة لما أرسل عتبة إلى البصرة فأقام بها نحو شهر، فخرج إليه

---

(١) الكامل ج٢، ص٤٨٦.

(٢) صحابي قديم، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، سار إلى (ميان) و(أبر قباذ) فافتتحهما، وكان من الرماة المعدودين. [الذهبي: تاريخ الإسلام ج٢، ص٨٢،٨٣. وعبد السلام الترمايني أزمنة التاريخ الإسلامي، ج١ ص٧٥٦].

(٣) النويري: نهاية الأرب ج١٩، ص٢٣٤.

أهل "الأبلة" وكان بها خمسمائة من الجند يحمونها، فقاتلهم عتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره ففزع الجند مما رأوا من المسلمين فتركوا مدينتهم باحثين عن ملاذ يأوون إليه حتى ينجوا بأنفسهم تاركين المدينة ومابها من أمتعة غنيمة للمسلمين، فخمسها "عتبة بن غزوان" بعد مادخل المدينة[١].

وإذا ماأردنا ترجيح رواية على أخرى وجدنا النفس تسكن إلى الأخذ بالرواية الأولى، لأنها تتفق مع تسلسل الأحداث التاريخية للفتوح الإسلامية فى هذه البلاد كما أنها تتفق مع ماتكاد تجمع عليه المصادر التاريخية من أن "أبا موسى الأشعرى" قد ولى أمر البصرة فى سنة ست عشرة، ومن ثم فإننا نجزم بأن الذى ولى "عتبة" البصرة هو عمر بن الخطاب وليس "سعد بن أبى وقاص" -رضوان الله عليهم-.

وعلى أية حال فإن عمر لما ولى "عتبة" أمر البصرة كتب إليه كتاباً ليسترشد بما فيه من وصايا ونصائح فى سياسته لأهل هذا المصر الجديد فقال له بعد باسم الله والصلاة والسلام على حبيبه الذى اصطفاه: (ياعتبة إنى قد استعملتك على أرض الهند، وهى حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ماحولها ويعينك عليها، وقد كتبت إلى "العلاء بن الحضرمى[٢]" أن يمدك بـ"عرفجة بن هرثمة" وهو ذو مجاهدة ومكايدة

---

(١) النويرى: نهاية الأرب ج١، ص٢٣٥.

(٢) صحابى من رجال الفتوح فى صدر الإسلام ولد ونشأ بمكة ولاهُ الرسول ﷺ سنة ثمان وجعل له جباية الصدقات وأمره أن يأخذها من أغنيائهم ويردها إلى فقرائهم. شارك فى حروب الردة، وأقره أبو بكر بعد وفاة

للعدو، فإذا قدم عليك فاستشره وادع إلى الله، فمن أجابك فأقبل منه ومن أبى فالجزية وإلا فالسيف، واتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً وملكاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمة إن لم تدفعك فوق قدرتك وتبطرك على من دونك واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ...، .. انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا.

مما تقدم يتبين لنا أن عمر بن الخطاب طلب من واليه ألا يلجأ إلى سفك دماء الأعداء حتى يعذر إليهم ويطلب منهم الجزية، فإن أبوا فليحكم الحسام فيهم، وحذره من كبر ربما يتسلل إلى نفسه بسبب ولاية تولاها، أو انتصار أحرزه، وأنه والمسلمين الأوائل ماعزوا بعد ذلة إلا بدين جاءهم به النبى محمد ﷺ فآمنوا به.

ولقد أحسن أمير المؤمنين اختياراً حين أسند أمر البصرة إلى عتبة فعلى الرغم من أن الجماعات التى قطنتها عند التمصير جماعات قبلية حكمت أمورها العصبية العشائرية فإن والى المصر نجح فى تسييس أمور مصره فى عدالة مطلقة نأت به عن تفضيل جماعة على أخرى، يظهر لنا

النبى ﷺ على ولاية البحرين، ثم أقره عمر، وجهه عمر إلى البصرة فمات فى الطريق وقيل مات بالبحرين وهو أول مسلم ركب البحر. [ابن حجر: الإصابة ج٢، ص٤٩١. عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى ج١، ص١٧٧].

دلك جلياً مں خطبته التى ألقاها فى رعيته بعدما أفاء الله عليهم بالنصر وامتلاك الأرص حيث زهدهم فى الدنيا بمن فيها ومافيها لأنها إلى روال فقال:

(أما بعد فإن الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد أذنت أهلها بصـرم، وإنما بقى منها صبابة كصبابة الإناء يصطبها صاحبها ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن مايحضركم ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفاً ولجهنم سبعة أبواب مابين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة، ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة مالنا طعام إلا ورق البشام[١] حتى قرحت أشداقنا فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشقتها بينى وبينه فأتزرت بنصفها، ومامنا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار وإنه لم يكن بنوة قط تناسختها جبرية.

وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيماً وفى أعين الناس صغيراً وستجربون الأمراء من بعدى فتعرفون وتنكرون[٢].

نهض "عتبة" بأمر البصرة فعمل على إنشاء مسجدها الجامع وبناء دار الإمارة بها ونظم خططها حسب القبائل والعشائر الذين معه بالإضافة إلى قيامه بأعمال أخرى تخص الزراعة بالمصر[٣].

---

(١) شجر طيب الرائحة يستاك به. ابن منظور لسان العرب مادة بشم ص٢٩٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٤، الجاحظ: البيان والتبيين ص٢٤١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٣، الشامل ج٢، ص٤٨٨.

استمر عتبة يقوم بكل مامن شأنه تيسير أمور الإقامة للعرب بهذا المكان حتى وجد فى نفسه رغبة لأداء فريضة الحج فاستأذن عمر فى الوفود عليه. فلما أذن استناب على البصرة "مجاشع بن مسعود(١)" الذى كان غائباً، فجعل "عتبة" "المغيرة بن شعبة" عوضاً عن "مجاشع" ليقوم بأمر المصر حتى يأتيهم ابن مسعود(٢).

غير أن ابن سعد يذكر لنا سبباً آخر عزى إليه قدوم عتبة على أمير المؤمنين فقال: (كان "سعد بن أبى وقاص" يكتب إلى عتبة وهو عاملة، فوجد من ذلك عتبة فاستأذن عمر أن يقدم عليه فأذن له واستخلف على البصرة "المغيرة بن شعبة" فقدم عتبة على عمر فشكا إليه تسلط "سعد" عليه فسكت عنه عمر فأعاد ذلك "عتبة" مراراً فلما أكثر على "عمر" قال وماعليك يا"عتبة" أن تقر بالإمرة لرجل من قريش له صحبة مع رسول الله وشرف فقال له عتبة: ألست من قريش؟

قال رسول الله ﷺ حليف القوم منهم، ولى صحبة مع رسول الله قديمة لا تنكر ولا تدفع فقال عمر: لا ينكر ذلك من فضلك، قال "عتبة" أما إذا صار الأمر إلى هذا فوالله لا أرجع إليها أبداً. فأبى عمر

---

(١) صحابى من الشجعان غزا كابل وصالحة الإصبهذ وقيل: كان على يده فتح حصن (أبرويز) بفارس كان يوم الجمل مع عائشة أميراً على بنى سليم، فقتل قبل الواقعة ودفن بالبصرة. [ابن حجر: الإصابة ج٣، ص٢٤٢، عبد السلام الترمايني: الأزمنة ج١، ص٨٣٤].

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢١.

إلا أن يرده إليها[١]. فصار "عتبة" يريد البصرة امتثالاً لأمر أمير المؤمنين فأدركته المنية و لم يصل إليها[٢].

وإذا أمعنا النظر فى الروايتين السابقتين وجدنا أن الرواية الأولى أكثر قبولاً من الثانية فإن مابين "سعداً وعتبة" لو صح ماكان يجعل رجلاً مثله يترك مصرهُ فى هذه الفترة الحرجة التى يؤسسه فيها إلى رجل متغيب عنه يجاهد الأعداء فى ميادين الفتح، اللهم إلا أن يكون ذلك لضرورة لا ينفع معها إرجاء أو إمهال، وليس ذلك إلا حنونة وقت الحج. ومن ثم فقد طلب الإذن من أميره فأذن له لجهاده ومكافأته على نجاحه فى إنشاء مصره. يضاف إلى ماتقدم أن رواية ابن سعد تظهر لنا "عتبة بن غزوان" بمظهر المتأفف من أوامر "سعد" وذلك نعت لا يوصف به من كان على شاكلة "عتبة" فى زهده الدنيا وإيثاره الآخرة عليها كما تبين ذلك جلياً حين ألمعنا إلى خطبته التى ألقاها فى الرعية.

وعلى كل حال فإن شمس "المغيرة بن شعبة[٣] فى سماء البصرة أخذت تزداد سطوعاً حين خلى له المصر وصار فيه الآمر والناهى

---

(١) الطبقات ج٧، ص٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص١١١، عبد السلام الترماينني: الأزمنة ج١، ص٧٥٦.

(٣) ابن أبى عامر بن مسعود الثقفى. كنى قديماً بأبى عيسى فكناه عمر أبا عبد الله أسلم عام الخندق وشهد الحديبية وبيعة الرضوان والقادسية واليرموك ولى الكوفة نيابة عن معاوية وظل بها حتى مات. [أبو الفرج: الأغانى ج١، ص٧٩. ابن الأثير: أسد الغابة ج٤، ص٤٠٦].

فأهتبل فرصة تحرش أهل "ميسان[١]" به وحشدهم رجال الفرس لمقاتلته بقيادة (الفيلكان) عظيم من عظماء أهل أبرقباذ فأعمل السيف فيهم وفتح بلادهم وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بالفتح[٢] ففرح فرحاً شديداً ونظر إلى المغيرة نظرة فيها مافيها من الرغبة فى استغلاله لتحقيق مزيد من الخير للمسلمين حيث عرف الناس عنه الدهاء وحسن السياسة فصار مضرب المثل فى ذلك بين الخاصة والعامة ومن ثم فإنه لما نعى إليه "عتبة بن غزوان" قلد "عمر" "المغيرة بن شعبة" ولاية البصرة[٣].

أقبل "المغيرة" على عمله فى البصرة بهمة ونشاط فثبت أركان المصر بما قام فيه من أعمال طيبة جعلت الرعية تنعم بالأمن والاستقرار على الرغم من وفود المزيد من الجماعات العربية عليه لما أخبرهم "عتبة ابن غزوان" عن خصوبة أرضه وطيب المقام فيه، فرغبت هذه الجماعات فى سكناه.

والمغيرة أول من وضوع ديوان الإعطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان ثم صار ذلك رسماً بعد ذلك يحتذونه وأول من

(١) بالفتح ثم السكون وسين مهملة وآخره نون: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان. [ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٣، ص١٣٤٣]

(٢) خليفة بن خياط التاريخ ص١٢٩. البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص٥٣٩، ٥٤٠.

سلم عليه بالإمارة فى هذ المصر[١] ولقد كانت فترة ولايته كل البصرة بمثابة امتداد للجهود التى قام بها سلفه عتبة بن غزوان من أجل دعم المصر وازدهاره وجعل سكانه ينعمون بالاستقرار والدعة وأية ذلك، أن عمر -رضى الله عنه- كتب إلى المغيرة بمعاونة رجل زرع أرضاً بالبصرة وافتلى أولاد الخيل فيها حين لم يفيلها أحد من أهل البصرة ويشترط عمر للمغيرة ألا تكون هذه الأرض أرض جزية كان ذلك فى صفر سنة ١٧هـ[٢] حتى سنة ٦٣٨م.

فصادف ذلك الأمر هوى فى نفس المغيرة فراح يعمل على النهوض بالزراعة والثروة الحيوانية ولأنه أحكم سيطرته على البلاد التى فتحها وأحسن رعية مصره فكان عهده على قصرة عهد بناء ورخاء على حد سواء.

ولم تنعم البصرة طويلاً بحكم المغيرة ذلك أن -عمر بن الخطاب رضوان الله عليه- عزله عنها بعد فترة وجيزة؛ حيث أتهم بارتكاب جريمة الزنا فاستدعاه عمر على الفور إلى المدينة فحقق فى القضية، فلما لم تثبت التهمة عليه ثبوتاً شرعياً لم يقم عليه الحد[٣]، واستبدل أبا موسى الأشعرى -رضى الله عنه- به وجعله معاوناً له على أمره فولى

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٠/٦. أبو الفرج: الأغانى ٨٠/١٦.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ص١٤٦، ط دار الكتب العلمية بيروت. افتلى أولاد الخيل فيها: رعى أولاد الخيل على النبات الذى زرعه. ابن منظور: اللسان مادة (فلى).

(٣) البلاذرى: فتوح البلدان ٤٢٤/٢. ابن الأثير: الكامل ٥٤١/٢.

المغيرة الكتابة له[١]. ولقد اختلف المؤرخون حول ماإذا كان "أبو موسى" بالمدينة أم بالبصرة حين ولاه "عمر" فذكر بعضهم أن عمرا لما استمع إلى ماقاله "أبو بكرة: عن عامله بالبصرة دعا "أبا موسى" إليه أمراً إياه بالتوجه إلى البصرة ولزوم السنة، فقال "أبو موسى". أعنى بعده من أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم فى هذه الأمة كالملح قال له: خذ من أحببت. فأخذ معه تسعة وعشرين رجلاً منهم "أنس بن مالك"، و"عمران بن حصين" وهشام بن عامر وخرج معهم فقدم البصرة، فدفع الكتاب بإمارته إلى "المغيرة" وهو أوجز كتاب وأبلغه.

(أما بعد فإنه بلغنى نبأ عظيم فبعثت "أبا موسى" أميراً، فسلم إليه مافى يدك والعجل[٢]. "وقد روى قوم أن أبا موسى كان بالبصرة فكتب إليه عمر بولايتها وإشخاص المغيرة ولقد رجح البلازرى الأمر الأول[٣]".

والذى لاريب فيه أن الفاروق "قد أصاب فى اختياره "لأبى موسى" فى هذا الوقت الدقيق الذى يمر به المصر، لما للموالى من مكانة مرموقة فى أفئدة المسلمين حيث كان من المهاجرين إلى الحبشة ومن الذين عرفوا بين صحابة النبى محمد ﷺ بفقهه وعدله، وله سابقة فى

---

(١) الدينورى: أبو حنيفة أحمد بن داودت (٢٨٢هـ/٨٩٥م). الأخبار الطوال: تحقيق محمد عبد المنعم عامر ومراجعة د. جمال الشيال، ط١: طبعة المثنى بغداد سنة (١٣٨٠هـ/١٩٩٠م) ص١١٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص٥٤١.

(٣) فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٤.

الولايات حين استعمله النبى محمد ﷺ على "زبيد[١]". و"عدن[٢]" بالإضافة إلى مشاركته فى فتوح "العراق" و"فارس" حيث فتح "أصبهان" زمن أمير المؤمنين "عمر" -رضوان الله عنه-[٣]. وكدأب "عمر" مع ولاته الذين ولاهم حكم الأمصار الإسلامية زود "أبا موسى" بكتاب أمره فيه بإقامة الحدود ولو ساعة من نهار وألا يتعالى على الناس بسلطان تولاه حتى لا ينفروا منه وحذره غائلة التهاون فى العصبية المتفشية بين الجماعات والقبائل القاطنة بالبصرة لأنها ترجع بالمجتمع إلى عصر الجاهلية، فإذا ماوجد شيئاً منها جابههُ بالشدة حتى يستأصل شأفته ليضمن الأمن والأمان لأهل مصره (وإذا كانت بين القبائل فائرة وتداعوا يا آل فلان فإنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله تعالى وإلى الإمام، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعة: ياآل "ضبة"، وإنى ماأعلم أن "ضبة" ساق الله بها خيراً قط، ولا منع بها سوءا قط فإذا جاءك كتابى هذا فانهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا[٤].

---

(١) بالفتح ثم الكسر وياء مثناه من تحت اسم واد به مدينة يقال لها الخصيب وهى التى تسمى اليوم "زبيد" وهو مشهورة باليمن وبإزائها ساحل المندب. ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ص٦٥٧.

(٢) ميناء بجنوب الجزيرة العربية كما يطلق الاسم على خليج عدن الذى يطلق عليه وتقع على مسيرة نحو مائة ميل من باب المندب وهو المدخل الجنوبى للبحر الأحمر. [أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج٥، ص٢٩٦]

(٣) البلخى: البدء والتاريخ ج٥، ص١٠٢. والذهبى: دول الإسلام ج١، ص٤٤.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ص٣٥٧،٣٥٨.

لما استوى "أبو موسى" على أريكة الإمارة بالبصرة طفق ينظم المصر، فقسم أرضه على القبائل والجماعات، فجعل لكل واحدة منها خطة تقيم فيها[١]. ونهج سبيل سلفيه في سياسته مع الرعية وعنايته بالمنشآت المعمارية بالمصر، إذ يذكر المؤرخون أن "أبا موسى" أول من استخدم اللبن في إنشاء الأبنية بالبصرة بعد ماأجاز "عمر" ذلك للكوفة والبصرة إثر الحريق الذى شب فى منازل المصريين فبنى المسجد فى مكانه القديم باللبن بعدما كان مبنياً بالقصب، وجعل دار الإمارة بجواره وسقفهما بالعشب وزاد فى المسجد عن ذى قبل. يتبين لنا من هذا أن المصادر لم تذكر سعة بناء أبى موسى للمسجد أو شكل الجامع، وقد يستدل من الزيادات التى أضيفت إليه فيما بعد أنه لم يكن واسعاً جداً وأنه كان يسد حاجة السكان فى زمنه، ولم يكن عددهم كبيراً، غير أن إقامة خمسمائة من الزط[٢]. وغيرهم لحراسته يدل على أن سعته كانت معقولة[٣].

---

(١) الدينورى: الأخبار الطوال ص١٢٤، على الطنطاوى وآخر: أخبار عمر ص١٣٠.

(٢) كملة معربة عن "جت" الفارسية تقرأ بضم الأول كما تقرأ بالكسرة والفتح وتطلق فى التاريخ الإسلامى على جماعات من أصل هندى نزحت فى عصور ماقبل الإسلام إلى فارس ثم انتقلت إلى ثغور الخليج العربى ومن ثم استقرت بإقليم البطائح (بين واسط والبصرة) ونظر الطبيعة الزط المقاتلة درجوا على قطع الطرق كما عملوا جنوداً مرتزقة ودخلوا فى خدمة الذين يدفعون لهم الأجر الأعلى. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج٣، ص٦٢.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٣. صالح العلى: خطط ومنطقتها ص٦٥.

استمر أبو موسى والياً على البصرة إلى سنة إحدى وعشرين من الهجرة حتى استبدل "عمر بن الخطاب" به "عمر بن سراقة[(١)] وبعث أبا موسى إلى الكوفة ثم أمر أمير المؤمنين بردة ثانية إلى البصرة[(٢)].

وعلى الرغم من أن المصادر التى تحت أيدينا لم تكشف لنا النقاب عن تلك التغيرات فى الولاه بين المصرين إلا أن المتتبع للأحداث التاريخية فى بلاد العراق وفارس آنذاك يسهل عليه تبرير هذا التغير بأن الفتوح فى تلك البلاد قد تزايدت وأن ثورات سكان بعض المناطق بها كانت تقوم الفينة بعد الفنية فلعل أمير المؤمنين أراد من تلك التغيرات رمى الأعداء بالأكفاء من الرجال من أمثال "أبى موسى" ومن ثم نقله من البصرة إلى الكوفة ثم أعاده إليها حين وجد الضرورة تستدعى ذلك.

شرب "أبو موسى" من كأس العصبية القبلية التى أثرت تأثيراً بالغاً فى حياة البصريين بالرغم من الجهود المضنية التى بذلها ومن سبقه من الولاة فى سبيل الاستعلاء بهذه العصبية لتتحول من الهدم إلى البناء ليتفرغ ذهن الولاة لمجابهة الأعداء المناوئين لهم فى بلاد فارس وماأكثرهم فى هذا الوقت. فقد اتهمت بعض الجماعات القبلية "أبا موسى" بممالأته زياد بن أبيه "فقالوا إنه منحه أموالاً لا يستحقها وأن الموالى يعيش عيشة مترفة بينما يعانون من شظف العيش وكتبوا بذلك إلى "عمر" وسبب تلك التهمة التى لصقوها "بأبى موسى" أنه لم يبعث

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص٥٤٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢، ص٥٤٠.

ضبة بن محصن مع الوفد الذى أرسله إلى "عمر" ليبشره بفتح أصبهان[١]. فوشى الرجل به عند أميره، فاستدعى "عمر" "أبا موسى" ليحقق فى الشكاية، حيث كان -رضوان الله عليه- أهم مايهمه مراقبة ولاة الأمصار بالليل قبل النهار، ليعلم يقيناً أنهم لم يتجاوزوا السلطات المخولة لهم، و لم يتلفوا أموال المسلمين فى وجه من وجوه الترف وألوان النعيم، ليتشبهوا بالعجم فى حياتهم.

جمع "عمر" بين "أبى موسى" وشاكيه من بنى ضبة ليحقق فى القضية، فقال للضبى: ماذا نقمت على أميرك؟

قال "ضبة": تنقى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين[٢] لنفسه.

---

(١) أو أصفهان مدينة ومقاطعة إيرانية تقع فى الغرب بين العراق ويزد وكاشان وأصبهان المدينة بلدة قديمة تقع على نهر زندة فتحت فى خلافة عمر على يد عبد الله بن عتبان عام ١٩هـ (٦٤٠م) وقيل فاتحها هو أبو موسى الأشعرى عام ٢٣هـ (٦٤٤م) بعد أن تم له فتح نهاوند التى تقع إلى شمالها الغربى ودخلت أصفهان تحت حكم الدول السامانية إبان القرن الرابع الهجرى وتحت الدول الغرنونية إبان القرن الخامس الهجرى. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج١، ص١٢٤.

(٢) مفردها دهقان، وهى كلمة فارسية مركبة من مقطعين: "ده" بمعنى قرية، و"قان" بمعنى شيخ، وقد تطور استخدامها عند غير الناطقين بالفارسية بحيث أصبحت تطلق على من له معرفة بشئون الزراعة أى الفلاح المستقر تمييزاً له عن الرحال المتنقل كالبدوى. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج٢، ص٣٩٧.

قال "أبو موسى": دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم فأخذته فقسمته بين المسلمين.

قال "ضبة": والله ماكذب ولا كذبت.

ثم ذكر التهمة الثانية فقال: له قفيزان وله خاتمان.

قال "أبو موسى": قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم.

فقال "ضبة": والله ماكذب ولا كذبت.

والتهمة الثالثة أن "أبا موسى" ولى "زياد" أمور الناس ولا يعرف هذا مايلى.

قال "أبو موسى": وجدت له نبلاً ورأياً فأسندت إليه عملي.

أما التهمة الرابعة فهي مخالفة "أبي موسى" سياسة الخليفة بمنحه "الحطيئة" ألف درهم وقيل دينار، منفقاً أموال المسلمين على غير وجه من وجوه الإنفاق التي وصى "عمر" ولاته، فأجاب "أبو موسى": (سددت فمه بمالي أن يشتمني).

وتهمة خامسة اتهم بها الضبي أمير مصره، فذكر أن له جارية تدعى "عقيلة" تغذى جفنة وتعشى جفنة، وليس بنا رجل يقدر على ذلك.

فما أجاب "أبو موسى" "عمر" -رضوان الله عليهما- عن هذا الأمر، فعلم الخليفة صدق الضبى، وأمر باستدعاء الجارية و"زياد" إليه. فلما جاءه "زياد" وعليه ثياب كتان سأله: ماهذه الثياب؟ فأخبره.

فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشىء يسير وصدقه.

فقال له: كم عطاؤك؟ قال: ألفان.

قال: ماصنعت فى أول عطاء خرج لك؟

قال: اشتريت والدتى فأعتقتها، واشتريت فى الثانى ربيبى "عبيداً" فأعتقته.

قال: وفقت.

وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيهاً فرده، وأمر أمراء البصرة أن يأخذوا برأيه.

وحبس "عقيلة" بالمدينة وكانت هذه هى عقوبته "لأبى موسى[(١)]".

ويتبين لنا من الرواية التى ذكرناها، أن البصريين أرهقوا ولاتهم من أمرهم عسراً، وأن العصبية القبلية قد ملكت عليهم سمعهم وأبصارهم، فأعمتهم عن السوية، وراحوا يكيلون التهم جزافاً لولاة

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٤، ص١٤٠، ١٤١، ١٤٢. على الطنطاوى وآخر: أخبار عمر ص١٥٢، ١٥٣. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٠، ١٤١.

أمصارهم. وماقضية "المغيرة" التى سلف ذكرها منذ قليل عنا ببعيدة، فإنها ضرب من ضروب تلك العصبية التى استغلها غير واحد من ضعاف الإيمان وأعداء الإسلام لينالوا بها من طرف ظاهر أو خفى صحابة رسول الله ﷺ للتشكيك فى نزاهتهم وحسن سياستهم.

فشاكيه نظر إلى تصرفات الوالى نظرة لا تعرف إلا السوء فى تصرفاته فيبديها، وإلى حسناته فيخفيها، وماذلك إلا لمأرب شخصى ألمعت إليه وهو أن "أبا موسى" حال بينه وبين الانخراط فى وفد البصريين إلى "عمر" ليبشره بالفتح. وعلى أية حال فإن "أبا موسى" ظل فى مصره يسوسه بعد أن آل أمر الأمة إلى "عثمان بن عفان" – رضى الله عنه– زهاء ثلاث سنوات إلى أن أمر الخليفة بعزله عن المصر، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن أهل "أيذج[1]" والأكراد[2] كفروا فى السنة الثالثة من خلافة "عثمان" فنادى "أبو موسى" فى الناس وحضهم على الجهاد، وذكر من فضل الماشى للجهاد ماذكر، فحمل قوم على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رجالة لينالوا فضل الماشى.

---

(١) الذال معجمة مفتوحة، وجيم: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان وهى أجل مدن هذه الكورة. [ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١، ص١٣٦].

(٢) الأكراد: شعب قريب من البداوة فى نزعته وأساليب معيشته يسكن المنطقة التى كان يطلق عليها كردستان وتتقاسمها فى العصر الحاضر الجمهوريتان التركية والعراقية وإيران. [أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج٣، ص١٥٦].

وقال آخرون: لا نعجل حتى ننظر مايصنع، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل فلما خرج أخرج ثقله على أربعين بغلاً، فعلقوا بعنان دابته، فقالوا: أحملنا على بعض هذه الفضول، وأرغب في المشى كما رغبتنا، فضربهم بسوط، وتركوا دابته (وأتوا "عثمان" فاستعفوه منه، وقالوا: ماكل مانعلم نحب أن تسألنا عنه فأبدلنا ماسواه، فقال: من تحبون؟ فقال: "غيلان بن خرشة"، وفي كل أحد عوض من هذا العبد الذى أكل أرضنا.

أما منكم خسيس فترفعونه! أما منكم فقير فتجيرونه.

يامعشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعرى هذه البلاد!)

فعزل "عثمان" "أبا موسى[١]".

جعل "ذو النورين" "عبد الله بن عامر" والياً على البصرة عوضاً عن "أبى موسى" مستجيباً لرغبات البصريين الذين أموا المدينة متذمرين من واليهم، ولقد فتحت هذه السياسة الحليمة التى ساس بها الخليفة أهل أمصار دولته الأبواب على مصاريعها أمام الطامعين والطامحين على حد سواء ليحققوا مآرب شخصية لهم أو يغامروا بأنفسهم ومجتمع مصرهم مظهرين الرغبة فى الإصلاح والحرص على الدين مبطنين العداء المقيت لمعتنقيه، كما ظهر ذلك جلياً فى الثورة على الخليفة -رضوان الله عليه-.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٩٩،١٠٠، النويرى: نهاية الأرب ج١٩، ص٤٣٢،٤٣٣، عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣١،٣٢.

وعلى كل حال فإن الخليفة كان موفقاً جل التوفيق فى اختياره لـ"عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف"، أحد أجداد النبى ﷺ وأم أبيه هى "أم حكيم البيضاء"، بنت "عبد المطلب" عمة النبى ﷺ وهو ابن خال "عثمان بن عفان"[١].

ولد فى مكة بعد الهجرة بأربع سنين، وتوفى سنة ٥٧هـ وعمره أربع وخمسون سنة. ولما فتح الرسول ﷺ مكة جئ له بـ"عبد الله بن عامر" وهو طفل. فقيل: هذا ابن السلمية. قال: نعم هذا ابننا وهو أشبهكم بنا، وهو مسقى. فكان "عبد الله" لا يمر فى أرض ليس فيها ماء، إلا ويأمر بعض جنوده أن يحفر فيها فيجد عيناً من الماء الغزير. وكان شريفاً سخياً كريماً كثير المال والولد[٢] حتى عدوه من الأجواد الخمسة عند العرب[٣]. روى حديثاً عن النبى "محمد" ﷺ وهو: (من قتل دون ماله فهو شهيد[٤]).

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ١٦١، محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ص١٠٣.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥، ص٣٣، ٣٤، ابن كثير: البداية والنهاية ج٨، ص٨٨.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص٢٩٣.

(٤) أورده له ابن مندة من طريق حنظلة بن قيس. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/٢٧٢،٢٧٣. البلخى: البدء والتاريخ ج٥، ص١١٠. عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣٢.

فلما وصل "ابـن عـامر" البصـرة سـنة ٢٩ للهجـرة أحسـن واليهـا استقباله، فيذكر المؤرخون أن "أبا موسى" كـان قـد أخـبر أهـل مصـره حين علم بقدوم "عبد الله بن عامر" والياً عليها عوضاً عنه فقال لهم عن واليهم الجديد: (يقدم عليكم غلام كريم الجـدات والعمـات، يجمـع لـه الجندان[١]).

والذى لا شك فيه أن "أبـا موسـى" لم يعزلـه الخليفـة عـن البصـرة لنقيصة فيه تنحيه عن ولاية المسلمين، وآية ذلك هذا الكتاب الذى كتبه الخليفة إليه وفيه (إنى لم أعزلك عن عجز ولا خيانة، وإنى لأحفظ قيـد استعمال رسول الله ﷺ و"أبـى بكـر"، و"عمـر" إيـاك، وإنـى لأعـرف فضلك، وأنك من المهاجرين الأولين، ولكنى أردت أن أصل قرابة "عبد الله بن عامر" وقد أمرته أن يعطيك ثلاثين ألف درهم).

فرفض "أبو موسى" أخذ المال من "ابن عامر" الـذى عـرف للـوالى السابق قدره ومكانته فقال له: (يا "أبا موسى" مأأحد مـن بنـى أخيـك أعرف بفضلك منى، أنت أمير البلـد إن أقمـت والموصـول إن رحلـت. قال: جزاك الله يابن أخى خيراً[٢]).

حمل الوالى ذو الأربعة وعشرين ربيعاً راية الجهاد والتعمير فـى آن واحد، ففتح "أفغانستان" و"خراسان" و"سجستان" و"كرمان"، ومازال يطارد "كسرى يزدجـر" حتـى قتـل. وقـد امتـدت فتوحـه إلى مـاوراء النهر، ففتح "ابن عامر" مـادون النهـر، نهـر "جيحـون" فلمـا بلـغ أهـل

---

(١) خليفة ابن خياط: التاريخ ص١٦١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٥، ص٣٣،٣٤.

ماوراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل، فيقال إنه عبر النهر حتى أتى موضعاً موضعاً. وقيل بل أتوه فصالحوه، وبعث من فيض ذلك، فأتته الدواب والوصفاء والحرير والثياب، ثم أحرم لله شكراً[١].

أما ماقام به "عبد الله بن عامر" من أعمال معمارية فى البصرة وغيرها أثناء ولايته عليها فإنها كثيرة تدل بلا ريب على جوده وكرمه وحبه إنفاق المال فى سبيل الله، فعزم على أن يصل بين العراق والحجاز بالقرى العامرة والمياه، لتذهب وحشة البادية من النفوس، ويتمهد طريق القوافل، فاحتفر ثلاثة أنهر؛ نهر البصرة الذى يخترقها، والنهر المعروف إلى ذلك العهد بنهر (أم عبد الله) وهى أمه ونهر الأبلة، ثم غرس بقرب (النباح) كثير من الحدائق، وأنبط عيوناً كثيرة على طريق المدينة، وبنى قصراً بقرب (قباء) ثم بنى حياضاً بعرفة وأجرى إليها الماء، فإزداد لذلك حب الأمة له[٢].

شهد عهد الموالى ثورة البصريين على عثمان حيث راح مروجوا الفتنة يعملون فى الباطن لتقليب أهل المصر على الخليفة، مختلقين لذلك أسباباً لا وجود لها إلا فى مخيلتهم مزينين للعامة الأخذ بها وكأنها من المسلمات التى يؤيدها الواقع، فخرج وفد البصريين الثائرين على عثمان

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان ج٣، ص٥٠٤. د. عبد الشافى: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣٣١. محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ص١٠٧.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص٤٤١. محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ص١٠٧.

وهم يوهمون الوالى أن خروجهم بجمعهم هذا من مصرهم لأداء فريضة الحج، فالتقوا ووفود الأمصار الأخرى ونزل الجميع على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة، وراح البصريون ينادون "بطلحة" خليفة على المسلمين بعد عزل "عثمان بن عفان" عن الخلافة -رضوان الله عليهم أجمعين-[١].

ولسنا هنا بصدد الحديث عن ثورة "عثمان" فذلك أوردناه مفصلاً فى كتابنا "نور اليقين فى تاريخ الراشدين" الجزء الأول، إلا أن الذى يعيننا هنا التأكيد على حقيقتين هما على جانب كبير من الأهمية.

أولهما: أن واليهم "عبد الله بن عامر" ساس أهل البصرة سياسة لا غبار عليها ولم يرتكب مامن شأنه جعل أهل المصر يتذمرون من ولايته ويجأرون بشكايته إلى عثمان.

ثانيهما: أن كون الوالى تربطه "بعثمان بن عفان" وشائج القربة فذلك لا يشين ولايته، لأنه فى ذات الوقت تربطه بالنبى ﷺ صلات قربى[٢] كما ألمحنا إلى ذلك فيما سبق ولإن قال قائل إن "عثمان" ولى "عبد الله بن عامر" مع صغر سنه ووجود الأكفاء من الرجال الأسن منه، وهذا يعد تغليب لوشائج القربى على مصلحة الأمة، قلنا له إن ذلك يكون لو وجدنا الوالى يقصر فى ميادين الجهاد أو الإعمار أو

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٤، ص٣٤٠. النويرى: نهاية الأرب ج١٩، ص٤٧٩، ٤٨٠. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج١، ص٤٠.

(٢) عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٣٣.

يجاهر بنصرة الظالمين على ظالمهم وعدم العناية بإقامة الحدود وإيصال الحقوق لكن شيئاً من ذلك لم يثبت، فثورة البصريين على "عثمان" لم تكن بسبب واليهم وإنما كانت بسبب الكتب التى نحلها المغرضون على ألسنة أهل الأمصار الأخرى طالبين فيها النجدة والمؤازرة من أهل المصر المرسل إليه الكتاب، ومن ثم وقع البصريون فى الشراك وأسهموا مع من أسهموا فى سفك دماء الخليفة.

ولقد سعدت البصرة بولاية "ابن عامر" لها مرة أخرى فى ظروف متباينة عن تلك التى جاء المصر فيها لأول مرة، يتبين لنا ذلك جلياً عند الحديث عن ولاة البصرة بعد مقتل الإمام "على بن أبى طالب" -كرم الله وجهه-.

ولما روعت الدولة الإسلامية بمقتل خليفتها "عثمان بن عفان" على يد الثائرين بالمدينة تأثرت بمقتله أمصار الدولة الإسلامية وكانت البصرة أكثر هذه الأمصار تأثراً، فإذا كانت قد شاركت أمصار الدولة فى عزل ولاتها من قبل "عثمان" فإنها تفردت بكون أرضها مسرحاً لمعركة "الجمل" تلك المعركة التى أصابت العالم الإسلامى بجراحات على جرحه الدامى بقتل خليفته، حيث كانت إحدى النتائج المترتبة على مقتل الخليفة.

ويلوح لنا أن والى البصرة "عبد الله بن عامر" أراد أن يرد الكيل كيلين والصاع صاعين "لعلى بن أبى طالب" -كرم الله وجهه- عندما أمر بعزله فقال المؤرخون إنه ماكاد يصل إلى مكة حاملاً معه المال الوفير حتى أسهم فى تجهيز الرجال الذين آزروا زعماء "الجمل" فى

المطالبة بِوَتَر "عثمان[1]". وذلك فى رأينا يعد -مأخذاً على "عبد الله بن عامر" الذى أنسته حماسة الشباب الأناة فجعلته القرابة "لعثمان" يسير فى طريق الثورة على خليفة المسلمين دون مراعاة للظروف الدقيقة التى تمر به الدولة الإسلامية، ولا سيما حاضرتها المدينة.

فتجاهل ماذكره "على" لزعماء الثائرين من احتياجه لبعض الوقت حتى يتمكن من إقامة الحد على أولئك الذين ارتكبوا الجريمة الشنعاء فى حق "ذى النورين" -رضوان الله عليه- على أية حال، فإن من نافلة القول الإشارة إلى أن "عليا" دقق ماوسعه التدقيق وبحث بحثاً أجهد فيه النفس من أجل اختيار رجال أكفاء ليشخصهم إلى أمصار الدولة الإسلامية، ليتولوا أمرها عوضاً عن عمال "عثمان" لا لنقيصة فى المعزولين بقدر ماهى رغبة فى درء أبواب الفتن أمام مروجيها من رعايا أقاليم الدولة. فوصل "عثمان بن حنيف" إلى عمله بالبصرة والرجل صحابى شهد أحدا ومابعدها، ولاهُ "عمر" السواد قبل أن يوليه "على" المصر فهو إذاً على دراية بإدارة دفة الأمور فى الأقاليم.

بيد أنه ماكاد يستوى على أريكة الحكم فى المصر حتى فاجأه الثائرون بأعدادهم الغفيرة فأحاطوه ببلده ليكون من أمر فصول معركة الجمل على أرض البصرة، تلك التى انتهت بانتصار "على[2]".

---

(١) البلخى: البدء والتاريخ ج٥، ص٢١١، ابن كثير البداية والنهاية ج٧، ص٢٣٠.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ص١٨١. البلخى: البدء والتاريخ ج٥، ص٢١١،٢١٢. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٢٢١،٢٦٠. عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٦٧.

ولقد فصلت الحديث عنها فى كتابنا "نور اليقين فى تاريخ الراشدين" ومن الطبيعى إذاً ألا تحفظ لنا المصادر الأصلية أشياء عن جهود "عثمان بن حنيف" الإدارية والمعمارية فى البصرة لنتبين منها معالم سياسته الداخلية لرعية مصره؛ حيث غطت أخبار معركة الجمل على ماعداها من الأخبار فى فترة حكم "عثمان بن حنيف" ولاية البصرة.

دخل الإمام "على -كرم الله وجهه- البصرة بعد واقعة الجمل فدان له البصريون بالطاعة وأعلنوا انضمامهم للجماعة. وجاءه وجوه القوم مسلمين، فحدث الإمام "على" الأحنف بن قيس" حديثاً فيه مافيه من رغبة الاستفادة بقوة قبلية "الأحنف" فى البصرة لتندمل الجروح بسرعة، ويأمن أهل المصر على أنفسهم إذا ماتأكد "على" من ولاء وجهاء القوم له فقال له "على": (تربعت -يعنى بنا- فقال: ماكنت أرانى إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ماكان ياأمير المؤمنين، فأرفق فإن طريقك الذى سلكت بعيد، وأنت إلى غد أحوج منك أمس فأعرف إحسانى، واستبق مودتى لغد ولا تقل مثل هذا، فإنى لم أزل لك ناصحا[(١)]. ومثل هذا الحرص نجده حين التقى أمير المؤمنين "عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفى وكان من المبايعين، فقال له بعد مابايعه:

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٤٥/٧. والأحنف بن قيس: يكنى أبا بحر كان ثقة كبير القدر مقرئاً عالماً لما كان جواداً ممدوحاً حليماً مجاهداً مات سنة ٦٧هـ وقيل ٧٢هـ. ابن سعد: الطبقات ٦٨،٦٤/٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٩١/١. وتربعت:اطمأنت. انظر: ابن منظور: اللسان مادة (ربع).

(أين المريض؟ -يعنى أباه- فقال: إنه وا لله مريض يا أمير المؤمنين وأنه على مسرتك لحريص. فقال: أمشى أمامى فمضى إليه فعاده واعتذر إليه أبو بكرة فعذره وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة[١].

كان أبو بكرة مخلصاً فى نصيحته للإمام على؛ فإن العصبية القبلية فى رأينا بالبصرة كانت تحكم معظم الأمور فى المصر فلو آل أمرها لثقيفى لاعترضت تميم والعكس. وإشارته بابن عباس وهو هاشمى فى وقت أسخنت فيه جراح الجمل رجالات البصرة، فلابد والحالة هذه على الإمام أن يأتيهم بوال له قدرة على رأب الصدع وجمع الشمل ومن لذلك إن لم يكن له "ابن عباس" الذى شهد الصحابة لهُ بالعلم فلقبوه بحبر الأمة وعلى كواهله قامت الحركة العلمية الإسلامية فى بواكيرها بالمدينة وهى مفتى الصحابة فى المشكلات من المسائل، أعجب به "عمر بن الخطاب" أشد إعجاب وأثر عنه أنه قال عن "ابن عباس" لقد هممت أن استعملك على ولاية من الولايات فمنعنى خشيتى استحلالك الفئ على التأويل[٢].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٤٥/٧. عبد الرحمن بن أبى بكرة، أول مولود ولد بالبصرة سنة ١٤هـ فأطعم أبوه أهل البصرة جزوراً فكفتهم، وكان ثقة وله أحاديث ورواية ومات سنة ٩٦هـ. ابن سعد: الطبقات ١٤١/٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٤٨/٦.

(٢) وهذا يعنى أن ابن عباس يتأول فى فهمه لقول ا لله تعالى: ﴿واعملوا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى﴾ ومن ثم يكون مأأخذه من بيت المال لو صح من الخمس المذكور فى الآية لذوى القربى.

والذى يدلنا على مكانة "ابن عباس" بين العلماء وطلاب العلم ماروى أن "معاوية" خرج حاجاً وخرج "ابن عباس" حاجاً فكان لمعاوية موكب ولابن عباس ممن يطلب العلم موكب. وقالت عائشة: هو أعلم الناس بالحج(١).

وعلى كل حال فإن "على بن أبى طالب" لما ولى "عبد الله بن عباس" البصرة سنة ست وثلاثين للهجرة جعل معه "زياد بن أبيه" على الخراج وبيت المال وأمر "ابن عباس" أن يسمع من "زياد" الذى كان معتزلاً(٢).

ومن هذا يتبين لنا أن "عليا" قد أيد "عمر بن الخطاب" فى الاستعانة "بزياد" بالبصرة لمعاونة ولاتها الأمر الذى لا مراء أكسب "زياداً" خبرة عظيمة حين آل إليه أمر المصر كما سنبينه فيما سيأتى.

ماكاد البصريون يتنفسون الصعداء بعد واقعة الجمل حتى رماهم معاوية بمبعوثه "عبد الله بن الحضرمى" سنة ثمان وثلاثين ليألبهم على أمير المؤمنين "على بن أبى طالب" وعامله على المصر فوصل الحضرمى البصرة "وابن عباس" بالكوفة بعد ماترك عليها "زياد بن أبيه".

نزل "الحضرمى" فى البصرة وهو يضع نصب عينيه وصية معاوية له وفيها: (أنزل فى مضر وتودد الأزد فإنهم كلهم معك، وادع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم؛ لأنهم كلهم ترابية(٣) فأحذرهم.

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص٣٥٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥، ص٢٧٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٧، ص٢٤٥.

(٣) يطلق الاسم على شيعة على حيث كناه رسول الله "أبا تراب" فى غزوة العشيرة فى قول بعضهم: (لما مر به نائماً تسفى عليه الريح التراب فقال:

نزل الحضرمى فى بنى تميم فأتاه العثمانيــة مسـلمين عليـه وحضـره غيرهم فخطبهم وقال: إن "عثمان" إمامكم إمام الهدى قتل مظلوماً قتله "على" فطالبتم بدمه فجزاكم الله خيراً.

فقام "الضحاك بين قيس الهلالى(١)" وكان على شرطة ابن عباس فقال: قبح الله ماجئتنا به وماتدعونا إليه أتيتنا والله بمثل مأأتانا به "طلحـة" "والزبير" أتيانا وقد بايعنا "عليا" واستقامت أمورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة، وعفا عن المسيء. أفتأمرنا أن ننتضى أسيافنا ويضرب بعضنا بعضا ليكـون "معاوية" أميراً؟ والله ليوم من أيام "على" خير من "معاوية" وآل معاوية. فقام "عبد الله بن خازم السلمى" فقال "للضحاك": أسكت فلست بأهل أن تتكلم ثم أقبل على "ابن الحضرمى" فقال: نحن أنصارك ويدك والقول قولك فاقرأ كتابك، فأخرج كتاب معاوية إليهم يذكرهم فيه آثار "عثمان" فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم إلى الطب بدمه ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطائين فى السنة[٢].

قم ياأبا تراب) وقيل إن النبى وجده فى المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح التراب من جنبه ويقول قم أبا تراب). المقريزى: إمتاع الأسماع ج١، ص٦٨،٦٩.

(١) أبو أمية الفهرى القرشى له أحاديث عن النبى شهد فتح دمشق وسكنها قتل سنة أربعة وستين للهجرة فى موقعة مرج راهط على يد "مروان". الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٣، ص٢٤١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٣٦٠،٣٦١. الذهبى: تاريخ الإسلام ص٣٥٥.

حاول "زياد" التغلب على الفتنة التى أوجدها فى البصرة "ابن الحضرمى" فقد أصبح البصريون مابين ناقض لبيعة "على" وجالس فى بيته لا يريد الزج بنفسه وبقومه فى فتنة جديدة لا يعلم عواقبها إلا الله، وفريق ثالث تمسك ببيعة الإمام الذى مأأن علم بفتنة "الحضرمى" فى البصرة حتى أرسل "أعين بن ضبيعة المجاشعى ثم التميمى فدفع حياته ثمناً لتلك الفتنة التى استمرت نارها تأكل البصريين. فلما نما للإمام مقتل مبعوثه أرسل "جارية بن قدامة السعدى" التميمى وبعث معه خمسين رجلاً من تميم وقيل خمسمائة رجل وكتب إلى "زياد" يأمره بمعونته والإشارة عليه.

فقدم جارية "البصرة فحذره "زياد" مأأصاب أعين فقام "جارية فى الأزد وجزاهم خيراً وقال: عرفتم الحق إذ جهله غيركم. وقرأ كتاب "على" إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال: "صبرة بن شيمان" سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه. وصار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب "على" -رضى الله عنه- ووعدهم فأجابه أكثرهم.

فسار إلى "ابن الحضرمى" ومعه الأزد ومن تبعه من قومه وعلى خيل "ابن الحضرمى عبد الله بن خازم السلمى "فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الأعور فصار مع جارية فانهزم "ابن الحضرمى" حيث أحرق جارية القصر بمن فيه فهلك "ابن الحضرمى" وسبعون رجلاً منهم معه وعاد "زياد" إلى القصر[١].

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١١٠-١١٣. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٠١.

وهكذا يتبين لنا أن "زيادا" تمكن بحسن تصرف تجنيب البصرة الوقوع تحت سيطرة معاوية ببقائه فى المصر محافظاً على بيت المال ومحاولاً جعل وجهاء البلد لا ينضمون إلى "ابن الحضرمى" فقدم بذلك خدمة جليلة لخليفته ثم أميره.

ظل "زياد بن أبيه" يشد أزر ابن عباس فى البصرة حتى كان ماكان من أمر الثورة فى بلاد فارس سنة تسع وثلاثين للهجرة فقد أخرجوا عامل "على" سهل بن حنيف ومنعوا الخراج فاستشار "على" الناس فقال له "جارية بن قدامة" ألا أدلك ياأمير المؤمنين على رجل صلب الرأى عالم بالسياسة كاف لما ولى؟ قال: من هو؟ قال: زياد فأمر "على" ابن عباس أن يولى زياداً فسيره إليها فى جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس(١) فجعله الإمام والياً عليهم.

وذكر "ابن كثير" أن "ابن عباس" شارك "جارية" بن قدامة فى رأيه للإمام "على" فى تولية "زياد" أمر إخماد ثورة فارس والولاية عليها. وتكاد النفس تسكن للرأى الثانى لما فيه من مطابقة لواقع عاشه "ابن عباس" مع "زياد" حيث استعان به منذ جاء للبصرة وسير أمورها فوجده على دراية كافية من الأمور تؤهله لما أشار به(٢).

آل أمر بيت المال بالبصرة إلى "أبى الأسود الدؤلى" بعد ترك "زياد بن أبيه" له ولقد اختلف الرواة حول من أسند أمر بيت المال إلى

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٣٨١-٣٨٢. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤١.

(٢) البداية والنهاية ج٧، ص٣٢٠.

"الدؤلى". فرواية تقول إن "عليا" هو الذى ولاهُ وأخرى تقول إن "ابن عباس" هو الذى عهد إليه بأمر معاونته ثم ولاية المصر[١].

والذى يبدو لى أن الرواية الأولى مرجوحة والثانية راجحة حيث إن "عليا" حين عهد "لابن عباس" بأمر البصرة رأى فيه الوزير والنصير وابن العم الذى سيشد من أزره فى وقت أحاطت به المحن فاعتمد عليه وهو العالم التحرير ومن ثم فإنه كان مفوضاً فى معالجة شئون مصره بالشكل الذى يرتئيه صائباً وعليه فيكون هو الذى ولى "أبا الأسود الدؤلى" فى المصر ماولى.

يؤيد ماذهبنا إليه ماذكره "ابن أعثم" أن عليا بعث إلى "عبد الله بن عباس -وهو عامله على البصرة- يأمره أن يخرج إلى الموسم فيقيم الحج للناس. فدعا "عبد الله بن عباس" بأبى الأسود الدؤلى "فاستخلفه على صلاة البصرة ودعا "بزياد بن أبيه" فجعله على الخراج وتجهز "عبد الله بن عباس" وخرج إلى الموسم"[٢].

عهد "ابن عباس" إلى "زياد بن أبيه" بأمر خراج البصرة بالإضافة إلى عمله فى فارس وجعل "أبا الأسود" على أمر الصلاة بالمصر فشجر بين الرجلين خلاف أثناء تغيب والى البصرة "عبد الله ابن عباس" - رضى الله عنهما-.

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ص٢٠٠-٢٠٢. إبراهيم شعوط: أباطيل ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢) الفتوح: ج٤، ص٧٢.

فلما عاد "ابن عباس" من مكة التقاه "زياد يشكى إليه مافعله به "أبو الأسود" مدة غيابه وأقرأه الشعر الذى هجاه به[١]، مال "عبد الله بن عباس" إلى زياد فقال "لأبى الأسود": (لو كنت من البهائم كنت جملاً، ولو كنت راعياً مابلغت من المرعى، ولا أحسنت مهنه فى المشى). أوغرت مقولة "ابن عباس" صدر "أبى الأسود" "فوشى به لدى أمير المؤمنين -كرم الله وجهه- فكتب إلى "على" كتاباً اتهم فيه "ابن عباس" بخيانة الأمانة التى استأمنه عليها أمير المؤمنين.

وكدأب الإمام -كرم الله وجهه- أولى رسالة أبى الأسود العناية قصد التثبت مما جاء فيها أو نفيه، وهو فى هذا يقوم أحسن قيام بمهام منصبه الذى يتولاه؛ فخيانة الأمانة من قبل أحد ولاته على الأقاليم لو صح يكون -كرم الله وجهه- المسئول الأول والأخير عن ذلك كله؛ لأنه هو الذى ولاه، ومن ثم أشخص الرسل من لدنه تحمل الرسائل "لابن عباس"، الذى بادله الخطاب بالرد حتى تلبدت مساء علاقات الرجلين بالغيوم؛ تلك التى حجبت الحقيقة عن "على" إلى حين، وجعلت "ابن عباس" -رضى الله عنه- يطلب الاستعفاء ويحقق لأبى الأسود ماكان يتمناه لواليه من الوقوع فى الشراك الذى نصبه له[٢]

---

(١) ابن أعثم الكوفى: الفتوح ج٤، ص٧٢،ص٧٣.

(٢) ابن أعثم الكوفى: الفتوح ٤/٧٢،٧٣،٧٥. الطبرى: تاريخ الأمم ٥/١٤١. النويرى: نهاية الأرب ٢٠/٢٠٣،٢٠٤. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣٥٥.

ولقد زعم بعض الرواة أن "عبد الله بن عباس" لما استعفى إمامه من حكم البصرة خرج منها وقد أخذ أموال بيت المال معه إلى مكة فأرادت جماعات البصريين منعه من ذلك فتصدى لهم بنو هلال لما بينهم وبين "عبد الله" من صلة الخؤولة، ونشبت بسبب ذلك معارك أريقت فيها دماء البصريين. وبالرغم من ذلك فقد استطاع "ابن عباس" الخروج من البصرة بالمال ومعه عشرون رجلاً[1] فوصل مكة واقام بها في بحبوحة من العيش حتى أنهم قالوا ابتاع ثلاث جوارى بثلاثة آلاف دينار[2].

وتذهب بعض الروايات إلى أن "ابن عباس" ظل في البصرة حتى استشهد الإمام "على" -كرم الله وجهه- ثم حضر الصلح بين "الحسن" و"معاوية" -رضوا الله علهيم أجمعين- بيد أن "الطبرى" أبى الأخذ بهذه الرواية مرجحاً أن "ابن عباس" وصلة مكة وأقام بها قبل مقتل الإمام "على" -كرم الله وجهه- وأن الذى حضر الصلح بين "الحسن" و"معاوية" إنما هو "عبد الله بن عباس"[3].

ولقد انبرى غير واحد من الباحثين المحدثين لمناقشة هذه القضية فمنهم من أكد ثبوت التهمة على "ابن عباس" ومنهم من نفاها عنه.

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٥. النويرى: نهاية الأرب ج٢، ص٢٠٤،٢٠٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص٣٥٧.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٣.

فمن الأول ماذكره أحد الباحثين من أن "ابن عباس" ولى ظهره "لعلى ابن أبى طالب" وأخذ مافى بيت مال المسلمين من أموال حين وجد نجم "معاوية" فى صعود بينما نجم أميره إلى أفول، لما وضعت حرب صفين أوزارها دون حسم للصراع بين "على" و"معاوية" وكان ماكان من أمر الخوارج والتحكيم وازدياد ضعف معسكر أمير المؤمنين ومن ثم فكر "عبد الله بن عباس" فى نفسه وفى دنياه فأخذ أموال المسلمين من بيت مال المصر[١].

ومن الثانى ماقاله أحد الباحثين وهو يبرهن على نفى التهمة المنسوبة إلى "ابن عباس" أن الطبرى أورد أكثر من رواية فى هذه القضية تدل على وجود خلاف بين الرواة حول ماإذا كان "عبد الله بن عباس" قد أقام بالبصرة حتى صالح "الحسن" "معاوية" أم أنه عاش فى مكة لما ترك البصرة ولما يقتل أمير المؤمنين "على" بعد.

فهذا يدل على عدم ثبوت التهمة فى رأى الباحث الكبير الذى انبرى للرد على صاحب الرأى الأول فقال: (إننا إذا قرأنا مايكتبه خصوم الإسلام من اليهود والمسيحين والشيوعين نقرؤه بحذر .. لأن الخصومة الدينية والتأثر بالعاطفة ضد الخصوم يوحى دائماً بالانحراف عن الحقيقة إلى إرضاء العاطفة. وهذا الحذر اصل من أصول البحث التاريخى.

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى ص١٢١،ص١٢٢.

أما إذا كتب المسلمون عن الإسلام فإن نكتفى بأن الكاتب مسلم وقد يكون هذا أشد خطراً على الإسلام من كل خصومة ومتى ثبت الشك فى عقيدة المسلم وسبقت له جرأة على الأصول المقررة فى الإسلام فإننا يجب أن نضعه فيما يسمى "القائمة السوداء" ونقرأ ماكتب بكل دقة وحذر وخاصة إذا كان أديباً بارعاً فى أسلوبه ساحراً فى عبارته فإنه بهذا السحر وتلك الجاذبية يجر القارئ إلى الاقتناع بما يكتب ولا سيما إذا كان القارئ غير مطلع على الموضوع الذى يقرؤه.

ونحن هنا أمام التهمة الموجهة إلى "ابن عباس" نجد الكاتب قد ترك أدلة البراءة كلها سواء منها الصريحة وغير الصريحة -واعتمد اعتماداً كلياً على أدلة الاتهام مع ضعفها وفساد أسانيدها فمثل هذا الكاتب لابد أن يكون قد دخل القضية وضميره مريض ونواياه سيئة[١].

فإذا أجلنا النظر فيما حوته المصادر القديمة وسطرته أقلام الباحثين المحدثين عن هذه القضية وجدنا النفس لا تسكن لبعض ماورد فيها وفى ذات الوقت ترحب بالبعض الآخر ذلك أن ماجاء فى الطبرى "وابن الأثير" من روايات لا يعد دليلاً يثبت التهمة على الرجل حيث إن مؤرخين كبيرين منهما من عاش فى أرض المصر الذى كان مسرحاً لهذا الحدث المزعوم ومنهما من عاش فى مصر قريب منه هما "خليفة بن خياط" وابن أعثم الكوفى لم يذكرا شيئاً عن سلب "ابن عباس" الأموال من بيت المسلمين بالرغم من ذكرهما عزل "على" لعامله "ابن عباس" عن البصرة وتفرد الثاني بمعلومات خلت منها روايات الطبرى مثل تلك

---

(١) إبراهيم شعوط: أباطيل ص٢٣٢،ص٢٣٣،٢٣٧،ص٢٣٨،ص٢٤٠.

التى ذكرت السبب الذى جعل "ابن عباس" يوجه مايوجه من ألفاظ إلى أبى الأسود الدؤلى ومثل ذلك ماجاء على لسان أحد الباحثين المحدثين الذين أيدوا ثبوت التهمة على ابن عباس من أن الرجل آثر دنياه على أخراه فإن هذا لا يستقيم مع ماأجمع عليه الصحابة الأجلاء والتابعون من الثناء على عبد الله بن عباس لما له من مكانة علمية مرموقة ورجل لقبه الصالحون بحبر الأمة وترجمان القرآن لا مراء فى أنه ينأى بنفسه عن أمر فيه شبهة بين الحلال والحرام فما بالنا بأمر كهذا فيه اتهام له بالسرقة والاغتصاب.

ومهما التمس الكاتب من أدلة تجعل رأيه مقبولاً فإننا نجدها أدلة أوهن من بيت العنكبوت ذلك أن "ابن عباس" خرج لمؤازرة "على" وهو يعلم أنه يواجه مناوئين قويين؛ أصحاب الجمل الذين عسكروا عند البصرة و"معاوية" المعتصم بالشام فخروجه إذا لو كان من محبى الدنيا لكان مقامرة أو مغامرة لكنه خرج وهو على يقين من علم تعلمه فعلمه أن الآخره هى دار القرار فخرج مع ابن عمه لعل الله يصلح به بين المتخاصمين.

ومن ثم فإنى أربأ عما صورهُ الكاتب لقرائه.

كما أنى لا أوافق صاحب الرأى الثانى على جعله رواية الطبرى التى تذكر أن "ابن عباس" أقام بالبصرة حتى صالح "الحسن" "معاوية" دليلاً على نفى التهمة عن "ابن عباس" -رضوان الله عليهما-؛ لأن الطبرى حين ذكرها بدأها بقوله: زعم أبو عبيدة و لم أسمعه فيه وذيلها

بما قاله: إن الذى شهد الصلح بين "الحسن" و"معاوية" عبد الله بن عباس(١).

فهذا يدل على أنه غير مسلم بها ونحن نؤيد ماذهب إليه صاحب الرأى الثانى من نفى التهمة عن "ابن عباس" لأن هذا ينسجم تمام الانسجام مع تاريخ الرجل العلمى والسياسى.

وعليه فإننا نرجح أن عزل "على" له لم يكن بسبب اختلاس أموال المسلمين من بيت مالهم بالبصرة بل كان بسبب اختلاف فى وجهات النظر حول موقف "على" من كتاب "أبى الأسود" إليه فإن مخاطبة أمير المؤمنين لابن عمه بأكثر من خطاب فى هذا الوقت الدقيق لسؤاله عن مقدار ماجمع من مال ووجوه الإنفاق التى أنفقه فيها اعتبره "ابن عباس" شكاً من أمير المؤمنين فى أمانته وحسن أدائه فى حين أن "عليا" كان يود أن يتسع صدر ابن العم له فيجيبه إلى ماطلب الإجابة عليه بوضوح وتوضيح كاملين ليقيم الحجة بذلك على ماكتب إليه وهو "أبو الأسود الدؤلى" متهما "ابن عباس" بالخيانة لكن "ابن عباس" -رضوان الله عليه- طلب من "على" استعفاءه من ولاية المصر فكان ماكان من أمر إقامته بمكة.

ومما يدعم ترجيحنا هذا ماذكره "ابن أعثم" عن موقف "على" بعد ماترك "ابن عباس" العمل له أن "على" كتب كتاباً له يعذله فيه على غضبه ويكذب من سعى به إليه وأعاده إلى عمله(٢).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٤٣.

(٢) الفتوح ج٤، ص٧٥.

ولاية البصرة فى العهد السفيانى

ترتب على مقتل الإمام "على" -كرم الله وجهه- وأيلولة الأمر إلى "الحسن" ثم تنازله عنه "لمعاوية" فيما يعرف بعام الجماعة الأول أن عاشت البصرة لبعض الوقت فترة من الفوضى هيأت فيها الأجواء "لحمران بن أبان" للاستواء على أريكة الحكم بالمصر.

و لم يكن الرجل ممن عاشوا بالبصرة منذ التمصير بل كان من المنفين إليها من حاضرة الدولة الإسلامية بأمر من "عثمان بن عفان" -رضى الله عنه- وسبب ذلك أنه وجد عليه[1]؛ لأنه كان وجهه للمسائلة عما رفع على "الوليد بن عقبة بن أبى معيط" فارتشى وكذب وكذب ماقيل فيه ثم تيقن "عثمان" صحة ذلك فوجد عليه وقال: لا يساكننى أبداً. وخيره بلداً يسكنه غير المدينة فاختار البصرة وسأله أن يقطعه بها داراً وذكر ذرعاً كثيراً استكثره "عثمان" وقال "لابن عامر" أعطه دار مثل ذورك[2]

وعلى الرغم من أن والى المصر عثمانى فإن معاوية لم يرتضيه والى له على البصرة إما لعدم ثقته بخبرته وحسن سياسته وإما أن يكون قصد إلى جعل والى المصر من أحد صنعائه الذين سيروا إلى الأمصار بعد عام الجماعة الأول ليضمن الولاء له والتفانى فى تنفيذ سياسته فى هذا الوقت الدقيق الذى يبنى فيه دولته وهذا مانميل إليه.

---

(١) اتهمه أهل مصره بشرب الخمر ورفعوا ذلك للخليفة عثمان -رضى الله عنه-.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٤،٤٣٥.

وعلى كل حال فإن معاوية -رضوان الله عليه- اختار "بسر بن أرطأة" والياً على البصرة فأشخصه إليها فى رجب سنة اثنتين وأربعين للهجرة[١]. والوالى قيل إنه لم يدرك رسول الله ﷺ قبل وفاته وقيل إنه رآه وروى عنه أحاديث و"لمعاوية" -رضوان الله عليه- تجارب مع الرجل خبره بها فوجده صلب العود يتعامل مع الصعوبات التى تواجهه بقوة حتى يتغلب عليها أن له بعض المهام الحربية قبل أن يوليه البصرة فأداها بشكل راق "معاوية" ومن ثم ولاه ماولاه[٢].

لما وصل الوالى البصرة رقى مراقى المنبر بمسجدها الجامع فخطب فشتم "عليا" -عليه السلام- ثم قال: (نشدت الله رجلاً علم أنى صادق إلا صدقنى أو كاذب إلا كذبنى.

فقال "أبو بكرة": اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً فأمر به فخنق فقام "أبو لؤلؤة الضبى" فرمى بنفسه عليه فمنعه فاقطعه "أبو بكرة" بعد ذلك مائة جريب[٣]. وقيل "لأبى بكرة" ماأردت إلى ماصنعت قال: أيناشدنا بالله ثم لا نصدقه[٤].

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٦٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٢٨٧، ابن حجر: الإصابة ج١، ص١٥٢.

(٣) مقياس لمساحة الأرض كان يستخدم منذ العصر الإسلامى الأول ومساحة الجريب قطعة من الأرض طولها ٦٠ ذراعاً فى ٦٠، بذراع الملك (طول ذراع الملك ٥٧,٧٧سم) أى أن مساحة الجريب هى ١٢٠٠ متر بمعنى أن الفدان المصرى يساوى ٣,٥ جريب، أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ج١، ص٥٩٦.

(٤) ابن أعثم: الفتوح ج٤، ص١٦٨،ص١٦٩. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤١٤. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص٨٩.

لم يسترح "معاوية" -رضوان الله عليه- بعد أن دانت البصرة وغيرها من الأمصار له بالطاعة إذ ماتزال أمامه عقبة كأداء لابد له من التغلب عليها حتى تصفوا الأجواء له وأعنى بها "زياد بن أبيه" الذى أخلص إخلاصاً شديداً للإمام "على بن أبى طالب" -كرم الله وجهه- فأنجز له المهام الصعبة فى تفان مسبوق بالدهاء وحسن الأداء فأن "الحسن" -رضوان الله عليه- لما صالح "معاوية" كان "زياد" بفارس متحصن بها يرفض الانضمام لصلح "الحسن" والخضوع "لمعاوية". رأى "معاوية" أنه لا سبيل يسلكه للضغط على زياد بعد ماتبادل معه الرسائل سوى أن يأمر واليه على البصرة "ابن أرطأة" بالقبض على بنى زياد بالبصرة فكتب "بسر" إلى "زياد" يقول له: (لتقدمن على أمير المؤمنين أو لأقتلن بيتك فكتب إليه "زياد": لست بارحاً مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك وإن قتلت ولدى فالمصير إلى الله تعالى ومن ورائنا الحساب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون).

فأراد "بسر" قتلهم وأتاه "أبو بكرة" فقال له: قد أخذت ولد أخى بلا ذنب وقد صالح "الحسن" "معاوية" على ماأصاب أصحاب "على" -رضى الله عنه- حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله أياماً حتى يأتى بكتاب "معاوية" فركب "أبو بكرة" إلى "معاوية" وهو بالكوفة فلما أتاه قال له: يامعاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال قال: وماذاك ياأبا بكرة؟ قال: "بسر" يريد قتل بنى أخرى "زياد" فكتب إليه بتخليتهم فأخذ كتابه وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد وقد أخرج "بسر" أولاد "زياد" مع طلوع الشمس ينتظرون "أبا بكرة"

فجاءهم بكتاب من عند "معاوية" يأمر فيه واليه بتخلية سبيل أولاد "زياد[١]".

مما تقدم نرى كيف أن "معاوية" -رضوان الله عليه- أراد أن يجعل له يداً على "أبى بكرة" ليتخذ منه نصيراً فى البصرة من ناحية ومن ناحية أخرى سكن أهل المصر بحلمه حين رفع عن أولاد صغار القتل على يد واليه.

ويبدو لى أن "معاوية" لم يرتاح إلى سياسة "بسر بن أبى أرطأة" فى المصر فعجل بعزله بعد مضى زهاء ستة أشهر على ولايته لها[٢] وأعاد إليها "عبد الله بن عامر" للمرة الثانية.

بيد أن غير واحد من المؤرخين ذكر أن "معاوية" ولاهُ المصر استجابة لرغبة "ابن عامر" الذى قال له: (إن لى بالبصرة ودائع وأموالاً فإن لم تولنى عليها ذهبت) فولاه البصرة فقدمها فى آخر سنة إحدى وأربعين وجعل إليه "خرسان وسجستان[٣]"

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٦٨،١٦٩. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص١٩١،ص١٩٢.

(٢) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٩٢. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص٨٩.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٧٠. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٩٢.

ولعل الذى دكرناه يوضح لنا كيف أن العصبية القبلية تؤثر تأثيراً بالغاً فى مجريات الأحداث بالبصرة فلا يستطيع باحث مس الباحثين أن يقول أن البصرة كانت عثمانية أو كانت شيعية فقد كانوا بالأمس القريب يآزرون الإمام "على" قبل معركة الجمل فكان منهم الناقض لبيعته عند وقوع معركة الجمل على أرض المصر ثم عادوا ليبايعوا بعدها وإذا بهم بعد مقتل إمامهم -كرم الله وجهه- يحولون بين "الحسن بن على -رضوان الله عليه- وبين الحصول على خراج "دار بجرد[١]" بناء على الصلح الذى أبرمه مع "معاوية" -رضوان الله عليهما-[٢].

لم تذكر المصادر أن "عبد الله بن عامر" أضاف جديداً للبصرة فى ولايته الثانية لها من الناحية الإدارية وإن استمر يبذل الجهد الدؤب فى الفتوحات الخارجية انطلاقاً من مصره غير أن هناك أمرين على جانب كبير من الأهمية يتعلقان بسياسته الداخلية فى المصر.

أولهما: أن التقارب بين "زياد" و"معاوية" -رضوان الله عليهما- قد تم فى عهد هذا الوالى لما أقبل "زياد" فى سنة ثلاث وأربعين للهجرة على "معاوية" وصالحه على مال يسمله له وهذا يعنى أن الجبهة الداخلية فى المصر قد استقرت فلم تعد هناك مطاردات من قبل "عبد الله بن عامر" "لأبى بكرة" وذويه بحثاً عن أموال "زياد" لإرسالها "لمعاوية" تلك التى جعلت الخليفة يشخص "المغيرة" للبصرة ليعذب "عبد الرحمن بن أبى بكرة"

---

(١) بعد الألف الثانية باء موحدة ثم جيم ثم راء ودال مهملة: ولاية بفارس.
ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢، ص٥٠٥.

(٢) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٢٧.

ليسلم له أموال "زياد" ولأن "المغيرة" كان حصيفاً فقد تعامل مع الأمر بحكمة جعلت له يداً عند "زياد" وفى ذات الوقت لم يغضب الخليفة(١).

ولا مراء فى أن هذا التقارب قد أثر كذلك على "عبد الله بن عامر" نفسه حين عزله "معاوية" ثم عهد بالمصر إلى "زياد" كما سنذكره.

وثانيهما: أن فرقة الخوارج ظهرت على مسرح الأحداث، فكلفت الوالى والرعية بالبصرة وماجاورها من أمصار الدولة الإسلامية ماأنهك الدولة وأصاب المجتمع بالفزع والذعر.

فهم طائفة من البدو والأجلاف شديدى الإيمان، لا يقتنعون إلا بما فى رؤوسهم، ولا يمكن تغيير ذلك بسهولة، ويرون أن المسلمين قد أحدثوا الكثير، فيرمون "عثمان بن عفان" و"على بن أبى طالب" بالأخطاء بل بالكفر، ويرون أن الناس قسمان: مؤمن، وكافر، وليس هناك غير ذلك؛ لذا عدوا كل من لا يرى رأيهم كافراً عليه التوبة والتبرؤ مما قام به "عثمان" و"على".

وقد لقى المسلمون منهم الويلات الكثيرة، فكانوا يستبيحون دم المسلمين ويقاتلون بضراوة وتضحية، ويعتقدون فى ذلك استشهاداً، لذا فقد أبلوا فى معاركم البلاء الكثير(٢).

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٤، ص١١٨.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص١١٨.

والذى يعنينا هنا ذكر نشاطهم بالبصرة وموقف ولاتها منه، فهذا "عبد الله بن عامر" الذى ماكاد يستوى على كرسى الولاية يتصدى لـ"سهم" و"الخطيم" اللذين خرجا بالمصر فى سبعين رجلاً آمنوا بمبادئ الخوارج فقتلوا من البصريين ماقتلوا، فجرد إليهم "عبد الله بن عامر" الجيوش فقاتلهم، فقتل منهم عدة، وانحاز بقيتهم إلى أجمة، وفيهم "سهم" و"الخطيم" فأمنهم "ابن عامر" ورجعوا، وكتب إلى "معاوية" بأمرهم ومافعله بهم، فجاءه رد الخليفة يأمره بقتلهم ليكونوا عبرة لغيرهم، فأجابه "ابن عامر" إنى قد أعطيتهم أمانك.

استمر الرجلان فى نشاطهما بعد ذلك على الرغم من تأمين "ابن عامر" لهما، فهرب "الخطيم" سنة خمس وأربعين حين كان "زياد" والياً على البصرة إلى الأهواز، واجتمع إلى "سهم" جماعة، فأقبل بهم إلى البصرة، فتفرق عنه أصحابه، فاختفى وطلب الأمان فلم يؤمنه "زياد"، وبحث عنه وأخذه فقتله وصلبه فى داره. وقيل إنه لم يزل مستخفياً حتى مات "زياد" فأخذه "عبيد الله بن زياد" وصلبه فى سنة أربع وخمسين. وأما "الخطيم" فإن زياداً سأله عن قتل "عبادة" فأنكره فسيره إلى البحرين ثم أعاده بعد ذلك وقيل إنه قتله[١].

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التى خرجت فيها طائفة الخوارج بالبصرة على عهد "عبد الله بن عامر" ذلك أن "المستورد بن علفة" الذى خرج بجماعته بالكوفة أزمع على الوصول برجالاته إلى البصرة

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ص١٠٤. النويرى: نهاية الأرب ج٢، ص٢٧٧، ص٢٧٨.

بعد الذى كان بينه وبين "معقل بن قيس" قائد قواد الكوفيين الذى عهد إليه "المغيرة بن شعبة" باستئصال شأفة جماعة "المستورد" فاسترشد "عبد الله بن عامر" بما فعله "المغيرة بن شعبة" مع هذه الطائفة حين أعلنت التمرد عليه بالكوفة فراقه مافعله "المغيرة" حين رمى الخوارج بواحد من شيعة "على" هو معقل بن قيس" فاختار "ابن عامر" شريك ابن الأعور وكان إلى غرار "معقل بن تشيعه" لعلى" فقال له "ابن عامر" (أخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس ثم اتبعهم حتى تخرجهم من أرض البصرة أو تقتلهم).

على أية حال فإن جيش البصرة قد فصل من المصر بقيادة "ابن الأعور" فلما وصلت أخباره الخوارج أرسلوا عينا لهم ليستوثقوا من الأمر فلما وجدوه كما أخبروا أزمع "المستورد" على ترك المكان كى لا تقع قواته بين قوتى البصرة والكوفة والعودة إلى حيث المكان الذى جاءوا منه فسار برجاله تحت جنح الظلام حتى نزل "جراجرايا[١]" فعسكر بها[٢].

فلما علم الجيشان بعودة الخوارج إلى الكوفة أزمع "معقل بن قيس" قائد قواد الكوفة على ملاحقتهم وإلحاق الهزيمة بهم. وود "شريك بن الأعور" أن يحذوا حذوهُ فى ملاحقة الخوارج بيد أنه وجد معارضة

---

(١) بفتح الجيمين وتسكين الراء الأولى وفتح الثانية: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى كانت مدنية خربت مع ماخرب من النهروانات. ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١، ص٣٢٤.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٩٤-ص١٩٩.

شديدة من رجاله الذين قالوا له: (لا وا لله لا نفعل إنما أقبلنا نحوهم لننفيهم عن أرضنا ونمنعهم من دخولها فإن كفانا ا لله مؤنتهم فإنا منصرفين إلى مصرنا وفى أهل الكوفة من يمنعون بلادهم من هؤلاء الأكلب فقال لهم ويحكم أطيعونى فيهم فإنهم قوم سوء لكم فى قتالهم أجر وحظوة عند السلطان فقال لهم "بيهس الجرمى" نحن وا لله كما قال أخو بنى كنانة:

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت
بينها فلم ترقع بذلك مرقعا

أما بلغك أن الأكراد قد كفروا بجبال فارس قال: قد بلغنى قال: فتأمرنا أن ننطلق معك نحمى بلاد أهل الكوفة ونقاتل عدوهم ونترك بلادنا فقال لهم: ومالأكراد؟ إنما يكفيهم طائفة منكم، فقال له: وهذا العدد الذى تندبنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة إنهم لعمرى لو اضطروا إلى نصرتنا لكان علينا نصرتهم ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد وفى بلادنا فتق مثل الفتق الذى فى بلادهم فليغنوا ماقبلهم وعلينا أن نغنى ماقبلنا ولعمرى لو أطعنا فى اتباعهم فاتبعهم كنت قد اجترأت على أميرك وفعلت ماكان ينبغى لك أن تطلع فيه رأيه[١]).

وبذلك يكون "المستورد" قد نجح فى خطته فلم يلق القوتين كما أن عدم وجود تنسيق فعال بين الأمصار الإسلامية المتجاورة التى تعانى من الخوارج أدى إلى زيادة نشاطهم ومن ثم تنكيلهم بالناس.

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٠١. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص١١٦.

أما "عبد الله بن عامر" والى المصر فإنه ظل يدبر سياسته لرعيته مقدماً الحلم والكرم على ماعداهما من الصفات الأخرى ولا مراء فى أن هذه السياسة لا تصلح مع قبائل جبلت على التمرد والثورة على حكامها فقد شاع الانقسام بينها حيث رأى واليها أن يسلك فى رعيته مسلك "المغيرة" بالكوفة ولكن ظروف المصرين مختلفة فالكوفة كانت تتعرض لضغط الخوارج الشراة فكان من اليسير على "المغيرة" أن يستقل هذا العامل فى تجميع القوى الداخلية لمراقبة هذا الخطر ومواجهته.

أما البصرة فإنه كانت أقل من الكوفة تعرضاً لنشاط الخوارج فى هذا الوقت فانصرف أهلها إلى منازعاتهم يشعلون أوارها ويتسعينون فى ذلك بالزعار وقطاع الطرق وبهذا عم الفساد وانتشرت الفتن وتكونت العصابات وسيطر القتل والنهب والنصب فى معظم نواحيها حتى عجز واليها "ابن عامر" عن مواجهة عصابة لم يزد أفرادها عن السبعين عداً فأمنهم وصالحهم على أن يكفوه والبصرة أذاهم وشرهم فقبلوا فترة ثم لم يلبثوا أن عادوا إلى ماتعهدوا بتركه من قتل وقطع طريق.

وقد ألمعنا فيما سلفناه إلى أن البصرة ذات موقع استراتيجى بالنسبة لحركة التجارة، والفتوح الإسلامية فى بلاد فارس وانتشار الفساد فيها لا يساعد على استئناف هذا النشاط[١]. ولقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول السبب الذى جعل "معاوية بن أبى سفيان" يعزل "عبد الله بن عامر" عن البصرة فالسواد الأعظم منهم يذكرون أن السبب فى

---

(١) محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٢،ص١٤٣.

ذلك راجع إلى كون الفساد قد استشرى أمره بين البصريين كما ذكرنا. فلما علم "معاوية" به استزار "عبد الله بن عامر" فلما جاء أكرمه ثم قال له: (إنى سائلك ثلاثاً فقل هن لك قال: هن لك وأنا ابن "أم حكيم" فقال ترد على عملى ولا تغضب. قال: قد فعلت. قال: وتهب لى مالك بعرفة. قال: قد فعلت. قال: وتهب لى دورك بمكة. قال: قد فعلت. قال: وصلتك رحم.

قال "ابن عامر" ياأمير المؤمنين إنى سائلك ثلاثاً فقل هن لك قال: هن لك وأنا ابن "هند" قال: ترد على مالى بعرفة. قال: قد فعلت. قال: ولا تحاسب لى عاملاً ولا تتبع لى أثراً. قال: قد فعلت. قال: وتنكحنى ابنتك "هند". قال: قد فعلت[١]).

ومنهم من قال إن سبب عزل "معاوية" لعبد الله بن عامر" راجع إلى الحسد الذى تملك "معاوية" لما وجد ألسنة الناس بالبصرة وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية تلهج بالثناء على "ابن عامر" للأعمال الجليلة التى قام بها فى مختلف المناطق فأراد حجبه عن الأضواء كى لا ينافس ولده "يزيد" بعد وفاته؛ فيذكرون أن "معاوية" سأل "قبيصة بن جابر[٢]" من ترى للخلافة بعدى؟ قال له "قبيصة" وأما فتاها حياء

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ص٢٠٧. الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٣،ص٢١٤.

(٢) ابن وهب الأسدى الكوفى تابعى من رجال الحديث الفصحاء ومن الفقهاء يعد فى الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة وهو أخو "معاوية بن أبى سفيان" من الرضاعة توفى سنة تسع وستين للهجرة. ابن

وحلما وسخاء "فابن عامر" فخشى منه "معاوية" ثم استدعاه إليه[1] وكان ماكان من رواية العزل التى سلفنا الحديث عنها.

والذى نراه أن الرواية الثانية ضعيفة فإن "معاوية" -رضوان الله عليه- عاصر كبار صحابة النبى مع مالهم من مكانة رفيعة تؤهلهم للخلافة ولم يعمد إلى حجبهم عن الأضواء كى يخلو الجو لولده "يزيد" فكيف و"عبد الله بن عامر" ليس كهؤلاء فى المكانة لصغر سنه يفعل معه "معاوية" مايفعل من العزل عن مصر له مكانة استراتيجية كالبصرة ليخلى الجو لابنه "يزيد" اللهم إلا أن يكون ذلك لعجز أبداه الوالى أمام النزعة القبلية للبصريين مما عجل بعزله كما قالت الرواية الأولى. ومما يدعم رأينا هذا أن "عبد الله بن عامر" تربطه "بمعاوية الروابط التى تجعله يأمن إليه فى البصرة أكثر من غيره؛ فحين يعزله ويولى مكانهُ "الحارث بن عبد الله الأزدى" لا يكون هذا إلا لرأب الصدع الذى أصاب العلائق بين قبائل البصرة وواليها.

والذى يؤكد صحة ماقررناه أيضاً أن هذا الوالى الجديد لم يمكث فى المصر سوى أربعة أشهر، فكانت ولايته الواقعة بين ولايتى "ابن عامر" و"زياد" كالفرس المحلل على حد قول "الطبرى[2]".

حجر: تهذيب التهذيب ج٨، ص١٤٥. عبد السلام الترماينى: أزمنة التاريخ الإسلامى ج١، م٢، ص٨٠٩.

(١) البلخى: البدء والتاريخ ج٦، ص١. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص١٠٣. محمود نصير: أبطال الفتح الإسلامى ١٠٧.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٦، ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٤٧.

آلت البصرة بعد "الحارث بن عبد الله" إلى "زياد بن أبيه" الذى كان "معاوية" يرمقه بعينين فاحصتين حيث إن عقليته جعلته يبذ أقرانه ويسبق عصره.

فيروى المؤرخون أن "عمر بن الخطاب" عهدإليه بمهام فأداها بكفاءة راقت أمير المؤمنين وأن بلاغته حين ألقى خطبة فى جماعة من كبار صحابة النبى ﷺ أبهرت "عمرو بن العاص" الذى قال: لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاة[1]. ولقد جذب نبوغ "زياد" عتبة بن غزوان" إليه فولاهُ الكتابة وجعل له على ذلك درهمين عن كل يوم[2].

وحاول "معاوية بن أبى سفيان" ضم "زياداً" إليه أثناء خلافه مع الإمام "على" -رضوان الله عليهما- فما استطاع إلى ذلك سبيلاً حتى استشهد الإمام فأرسل "معاوية" إليه كتاباً يتهدده فيه بسوء الوعيد ليسلم له بلاد فارس التى تحصن بها فأجابهُ "زياد" فى قوة وشجاعة قائلاً: (العجب من ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق ورئيس الأحزاب يتهددنى وبينى وبينه ابنا عم رسول الله ﷺ يعنى "ابن عباس" و"الحسن بن على" فى سبعين واضعى سيوفهم على عواتقهم أما والله لئن خلص إلى ليجدنى أحمز ضراباً بالسيف[3]).

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٤٣.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ص٤٣٢. محمود حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٠.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٧٠.

بيد أن الصلح الذى أبرمه "الحسن" مع "معاوية" وسعى بعض الناس بين "زياد" والخليفة بالخير قد قربت بين "معاوية" و"زياد" ليحقق "معاوية" ماتمناه منذ أمد بعيد، وينال "زياد" أعظم أمانيه قاطبة ألا وهى الانتساب "لأبى سفيان" ولقد اختلف الرواة فيما بينهم حول من أشار على "معاوية: بأمر الاستلحاق ليغرى به "زياداً". فابن الأثير يذكر أن "زيادا" واضع "مصقلة بن هبيرة الشيبانى" وضمن له عشرين ألف درهم ليقول "لمعاوية" إن "زيادا" قد أكل فارس براً وبحراً وصالحك على ألف ألف درهم وا لله مأرى الذى يقال إلا حقاً فإذا قال لك: ومايقال؟ فقل: يقال إنه ابن "أبى سفيان" ففعل "مصقلة" ذلك ورأى "معاوية" أن يستميل "زياداً" واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من يشهد "لزياد" وكان فيمن حضر "أبو مريم السلولى" فقال له "معاوية": بم تشهد يا "أبا مريم"؟ فقال: أنا أشهد أن "أبا سفيان" حضر عندى وطلب منى بغيا فقلت له: ليس عندى إلا "سمية" فقال: إيتنى بها على قذرها(١) ووضرها(٢) فأتيته بها فخلا معها(٣).

ويذكر الطبرى فيما رواه عن "عبد الملك بن عبد ا لله الثقفى" أن "المغيرة" ابن شعبة هو الذى أشار على "معاوية" بأمر الاستلحاق

---

(١) القذور من النساء المتنحية من الرجال. ابن منظور: لسان العرب ج٣ مادة قذر ص٣٥٥٩.

(٢) تطلق الكلمة على الصفرة والحمرة من الطيب الذى له لون يرى وقالوا إنها تطلق ويراد بها لامتلاء.

(٣) الكامل ج٣، ص٤٤٤. الذهبى: دولة الإسلام ج١، ص٣٩. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص٨٥..

"لزياد" وأنه بذل الجهد ذاته مع "زياد" ببلاد فارس حتى كان ماكان من أمر استلحاق "معاوية" "لزياد[١]".

كان لهذا الاستلحاق ردود فعل فى البيت الأموى فقد جاهر بعض أفراد هذا البيت برفضه له إلا أن "معاوية" وقف بالمرصاد لمثل هؤلاء فهدد وتوعد كل من شكك فى نسبة "زياد" إلى "ابى سفيان" بسوء العاقبة[٢].

أما "زياد" فإنه هو الآخر حرص حرصاً شديداً على نسبته "لأبى سفيان" فى المكاتبات التى تأتيه فكان يغضب غضباً شديداً على رجل يكتب له فلا ينسبه وهذا إن دل على شىء فإنه يدل على أن هذا الاستلحاق الذى مَنّ "معاوية" به عليه قد محى عن "زياد" نقيصة كان يشعر بها من داخله كلما فعل فعلاً وإن لم يبد هذا للعيان وحاول تغطية هذا الشعور بالأعمال العظيمة التى قام بها قبل استلحاق "معاوية" له ثم توليته البصرة سنة خمس وأربعين للهجرة. وآية ماقلناه هذه الرواية التى ذكرها "ابن سعد: وفيها: (أن "مرة" صاحب نهر مرة أتى "عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق" وكان مولاهم فسأله أن يكتب له إلى "زياد" فى حاجة له فكتب: من "عبد الرحمن" إلى "زياد" ونسبهُ إلى غير "أبى سفيان" فقال: لا أذهب بكتابك هذا فيضرنى. فأتى عائشة فكتبت له: من عائشة أم المؤمنين إلى "زياد بن أبى سفيان" فلما

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص١٧٨. الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ص٤٢٧.

(٢) ابن أعثم الكوفى: الفتوح ج٤، ص١٧١-١٧٤.

جاءه بالكتاب قال له: إذا كان غداً فجئنى بكتابك وجمع الناس فقال: ياغلام اقرأه قال فقرأه: من عائشة أم المؤمنين إلى "زياد بن أبى سفيان" فقضى له حاجته(١).

وعلى النقيض من هذا الموقف نرى "زياداً" يأبى قبول شفاعة "الحسن بن على" -رضى الله عنهما- فى رجل من رجالاته بحيث لا يعرض له "زياد" بسوء وذلك بناء على الصلح المبرم بين "الحسن" و"معاوية" وماذلك إلا لأن "الحسن" كتب له كتاباً لم ينسبه فيه إلى أبيه. فأجابه "زياد" على كتابه بكتاب كال له فيه الصاع بالصاع حيث لم ينسب "الحسن" إلى أبيه وأعلمه أنه سيطلب الرجل المشفع فيه ولو كان بين جلده ولحمه فلما رفع "الحسن" الأمر إلى "معاوية" نهى "زياداً" عن ملاحقته الرجل وقبل الخليفة شفاعة "الحسن" فيه(٢).

وعلى أية حال فإن زياداً لما وصل البصرة والياً لم يكن مستغرباً من أهلها وجاهلاً بأرضها فقد عرفوه فعاملوه وألفه بعضهم ومجه وكرهه آخرون ولم يكن هذا الأمر ليغيب عن "معاوية" حين ولى "زياداً" البصرة فعهد له بأرض المصر لما له من خبرات سابقة فى التعامل مع قاطنيه من الرعية مما يمكنه من النهوض بأموره على أكمل وجه.

بدأ زياد ولايته على المصر فرقى مراقى منبر المسجد الجامع وألقى خطبة عرفت بين الناس بالبتراء لكونها خلت من البسملة فى بدايتها وضح فيها طرائق حكمه ومنهج سياسته لرعية مصره فبعد أن بين لهم

---

(١) الطبقات: ج٧، ص٧٠.

(٢) الجاحظ: البيان والتبين ص٣٦١.

أن الإنسان يعيش دنياهُ وأخراه مابين ثواب وعقاب بسبب عمل عملـه، حذرهم بسـط الحمايـة علـى سـفهائهم الذيـن سعوا فـى المصـر فسـاداً وإفساداً (ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ماترون من قيـامكم دونهـم حتى انتهكوا حـرم الإسـلام ثـم أطرقـوا وراءكـم كنوسـاً فـى مكـانس الريب، حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح بــه أولـه، لـين فـي غـير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف، وإنـي لأقسـم بـا لله لآخـذن الـولى بالولى، والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسـقيم حتـى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم). وقد أعلمهم أنـه لا يسـمح بـالتجوال ليـلاً بعـد فراغهـم مـن صلاة العشاء ليضبط الأمن ويحفـظ النظـام؛ (إيـاى ودلج الليـل فـإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم فـى ذلـك بقـدر مايـأتى الخـبر الكوفة ويرجع إليكم). وحذرهم من العصبية القبلية فإنه لن يسمح بها مابقى فى المصر إذ هى تعيدهم القهقرى إلى عصـر الظـلام ذلـك الـذى كان قبل ظهور الإسلام (وإياى ودعوى الجاهلية فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه). وأعلمهم أنه لا تأخذه بهم رحمة ولا تهـاون إن اعتدى بعضهم على بعض أو حـادوا عـن السياسـة التـى بينهـا لهـم فـلا حائل يحول بينه وبين إنزال العقوبة بهـم أنـى كـانوا؛ (مـن غـرق قومـاً غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتـاً نقبت عـن قلبـه ومـن نبش قبراً دفنته فيه حياً، فكفوا عنـى أيديكـم وألسـنتكم أكفـف عنكـم لسانى ويدى)، ومع ذلك أعلمهم أنه لا يمنع إنساناً يريد لقـاءه ليقضـى له حاجته، لأن هذا حق الرعية على الراعى (لسـت محتجبـاً عـن طـالب

حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً ولا عطاء عن إبانة، ولا مجمراً لكم بعثاً[١]).

قرن "زياد" القول بالفعل فكانت سياسته فى المصر تنفيذاً حرفياً لما تضمنت الخطبة البتراء حيث جرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب بالشبهة؛ فخاف الناس فى إمارة "زياد" خوفاً شديداً حتى أمن بعضهم من بعض فكان ربما سقط الشيء من الرجل والمرأة فلا يتعرض إليه أحد حتى يأتيه صاحبهُ فيأخذه. وكانت المرأة تبيت فى منزلها فلا تغلق بابها ولا تخاف لصاً يدخل إليها.

فأقام "زياد" بالبصرة مدة وساس أهلها سياسة لم يروا مثلها وهابه الناس هيبة شديدة فأحبه الأخيار وأنفر عنه الأشرار[٢]. ومع ذلك فإن "زياداً" حاول قدر جهده جعل فئات المجتمع تعيش على احترام بعضها بعضاً كما قضت بذلك التقاليد العربية وأيدتها الشريعة الإسلامية؛ (استوصوا بثلاثة منكم خيراً؛ الشريف والعالم والشيخ فوالله لا يأتينى شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجعته، ولا يأتينى عالم بجاهل استخف به إلا نكلت به، ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به إلا نكلت به وانتقمت له منه[٣].

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٧-ص٢٢١. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٤٧-ص٤٥٠. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠ ص٣٠٩-ص٣١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص١١٠.

(٢) ابن أعثم الكوفى: الفتوح ج٤، ص١٧٤،ص١٧٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ص٢٨٧.

واستعان "زياد" فى تنفيذ تلك السياسة بأربعة آلاف شرطى عملوا بالليل والنهار دون كلل أو ملل فإذا ماوجدوا أحداً يسير بعد صلاة العشاء بادروا إلى قتله أو إحضاره إلى الأمير؛ فيذكرون أن صاحب الشرطة ألقى القبض على أعرابى تجول فى شوارع البصرة فى وقت لا يسمح فيه بالتجوال فلما سأله الأمير عن سبب عدم إذعانه للأمر. أجابه بقوله: ماسمعت بهذا، (قدمت بحلوبة لى، وغشينى الليل، فاضطررتها إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا علم لى بما كان من الأمير.

قال: أظنك وا لله صادقاً، ولكن فى قتلك صلاح هذه الأمة.

ثم أمر به فضربت عنقه)

و لم يكن "زياد" يطبق تلك السياسة فى أول أمره فى سائر أنحاء الإقليم الذى يحكمه؛ فطبقها أولاً بالبصرة؛ فساد الأمن والأمان بها بخلاف المناطق الأخرى فى الإقليم، فلما سألوه عن سبب التطبق فى البصرة وحدها قال: (لا يعنينى شيئاً سوى المصر حتى أغلب على المصر وأصلحه، فإن غلبنى المصر فغيره أشد غلبة. فلما ضبط المصر تكلف ماسوى ذلك فأحكمه، وكان يقول: لو ضاع حبل بينى وبين خراسان علمت من أخذه[١]).

وكان يدبر الأمور المالية لمصره والبلاد التى يحكمها من خلاله تدبيراً يدل على أنه صاحب عقلية اقتصادية بقدر ماهى سياسية، ولا

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٢٢،ص٢٢٣. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٥٠،ص٤٥١. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٤.

نغالى إذا ماقلنا إنه طبق فى عصره سياسة اقتصادية تطبقها الدول العظمى فى عصرنا، فعمل على ضبط توزيع العطاء على سكان البلد بعد أن زادوا زيادة كبيرة فى عهده نتيجة الهجرة إليها من أمصار الدولة الإسلامية، فخطب فى رعيته خطبة أطلعهم فيها على المشكلة المالية التى يواجهها ورأيه فى التعامل معها فقال: "إن عشائركم وردت علينا، فاختاروا أن يأخذوا نصف أعطياتكم وأرزاقكم، فنقويهم بهما مع مالهم عندنا، أو تكفينا كل عشيرة من فيها، فمنهم من ضم إلى عشيرته، ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وأرزاق عياله".

ولاريب فى أن اختلاف العشائر فى عدد أفرادها كان يحدث مشاكل إدارية واسعة؛ لذلك أعاد "زياد" تنظيم البصرة فجعل العشائر متكافئة فى العدد، ويضم كل منها حوالى ألف مقاتل مع أفراد أسرهم، وجعل لكل عشيرة عريفاً يشرف على إدارتها وعلى من فيها، ويقوم بتوزيع العطاء على أفرادها، وقد استلزم هذا ضم بعض العشائر الصغيرة إلى أخرى، وتقسيم العشائر الكبيرة بحيث تصبح كل واحدة مكونة من حوالى ألف مقاتل، ثم وضع "زياد" تقسيمات كبرى، فجعل البصرة خمسة أخماس، يضم كل خمس عدداً من العشائر وهذه الأخماس هى: أهل العالية (أى أهل الحجاز) وتميم وبكر والأزد وعبد القيس وجعل لكل خمس رئيساً يقر تعيينه الخليفة، وكثيراً مايقوم بقيادة خمسة فى الحروب[١].

---

(١) البلاذرى: أنساب الأشراف ج٤، ص٢٠٦. صالح العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٥١. محمود حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٥.

أخذ "زياد" بمبدأ الادخار من يومه لغده، فنظم ميزانيته الاقتصادية في البصرة والمناطق التي تتبعها لتسد حاجيات الرعية المتنوعة من رواتب وأعطيات على النحو الذى نظمه، فكانت البصرة وكورها تغل ستين ألف ألف درهم، فيعطى الذرية منها ستة عشر ألف ألف، وينفق في البنيان ومايحتاج إليه من العمارة وغير ذلك ألفى ألف، ويدخر في بيت المال ألفى ألف درهم، ويوجه باقى ذلك إلى "معاوية"[(١)].

فإذا ماولينا وجهنا شطر جهود "زياد" المعمارية في البصرة وجدناه قد قام بتوسعة مسجدها وإعادة بنائه باللبن وسقفه بالساج، وجعل له سوار من حجارة، وكان يرقب العمل فيه بدقة، ويتفحص البناء تفحص الخبير به، ليظهر كأكمل وأجمل مايكون البناء. وهو أول من عمل المقصورة، ونقل دار الإمارة إلى قبلة المسجد، وكان بناؤه إياها بلبن وطين.

بيد أن الذى يؤخذ على "زياد" وعلى كثير من الولاة والحكام منذ آماد بعيدة لجؤهم إلى طمس الأعمال البارزة التى قام بها السابقون عليهم، ونسبة كل مافى المصر من تقدم وشيء جميل إلى من يحكم البلد، فإذا ماغيبته الأيام عن أريكة الحكم فعل به مافعل بغيره ولقد كان "زياد" من هؤلاء فى بعض أفعاله، فقد قام بهدم كل قصر ومصنع كان "لابن عامر"[(٢)].

---

(١) ابن أعثم الكوفى: الفتوح ج٤، ص١٨١.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ج٢، ص٤٢٦،ص٤٢٧. ياقوت: معجم البلدان ج١، ص٤٣٣، ص٤٣٤. صالح العلى: خطط البصرة ومنطقتها ص٥٥، ص٥٨، ص٦٧.

ويلوح لنا أن سياسته بشكل عام قد راقت "معاوية" الذى أصبح يأمن جانب البصرة بعد أن استوى على أريكة إمارتها "زياد"؛ وآية ذلك أن منصب إمارة الكوفة حين شر بموت "المغيرة" سنة خمسين من الهجرة عهد به "معاوية" إلى "زياد" ليحكم المصرين. ولا مراء فى أن هذا يدل على قوة شخصية "زياد"!! فرجل يحكم المصرين بنجاح كما ذكر المؤرخون لهو من الأفذاذ الذين سطروا أسماءهم فى التاريخ بأعمال بذوا بها السابقين وكانت موضوع احترام وانبهار من اللاحقين.

استعان "زياد" بـ"سمرة بن جندب"(١) ليعاونه فى أمر ولايته تلك بعد اتساعها. والرجل له سابقة فى الإسلام فكان من أهل بيعة الرضوان وكان من الحفاظ المكثرين عن الرسول ﷺ اثنى عليه غير واحد من الأئمة الصالحين مثل "الحسن البصرى" و"ابن سيرين". فكان "سمرة" يلى البصرة كلما غاب عنا "زياد" ليدبرأمر الكوفة فقد كان يقيم فى كل مصر من المصرين ستة أشهر(٢).

---

(١) ابن هلال بن جريح بن مرة الهلالى الفزازى، توفى سنة (٥٩هـ) حيث سقط فى قدر مملوءة ماء حاراً ووفاته بهذا الشكل تصديقاً لما أخبره به النبى ﷺ : سمرة وأبوهريرة وأبا محذوره فقال ﷺ: (آخركم موتاً فى النار) فكان سمرة آخر من توفى منهم. [ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٤، ص٢٣٧].

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص١٠٨. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٢٥. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٤، ص٨٩. عبد السلام الترمايني: أزمنة التاريخ الإسلامى ج١، ص٦٥٢.

ويظهر أن اختيار "زياد" "لسمرة" كان على أساس أن هواه يوافق سياسة "زياد" حيث أخذ البصريين بالقوة فيذكرون أنه قتل من أهلها حين كان "زياد" غائباً عنها ثمانية آلاف من الناس وأثر عنه أنه قال للبصريين: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا[١].

والذى نعتقده أن قتل "سمرة" لهذا العدد الكبير من البصريين لا ينعته بحب سفك الدماء بحق أو بغير حق؛ لأن ماسلفناه عن مكانته وروايته الحديث عن النبى محمد ﷺ ينأيان به عن الوقوع فى مثل هذا الأمر المنهى عنه فى القرآن الكريم من قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق.

ولعل قتله هذا العدد الكبير -إن صح- على حد الرواية يعزى إلى اهتبال البصريين غياب "زياد" عن المصر فقاموا بثوراتهم للنيل من عامله الذى ولاهُ فكان ماكان من أمر القتل الذى أشارت إليه الرواية. والذى يدعم ماذهبنا إليه أن "معاوية" -رضوان الله عليه- ولاهُ البصرة بعد أن مات "زياد" وماكان لرجل مثل الخليفة فى عقله ودهائه وحرصه على ضبط أمصاره ووصل الرعية به ولو بخيط رفيع ليفعل هذا إلا إذا كان "سمرة بن جندب" قد فعل مافعل وهو على حق لأنه لو كان على غير ذلك لجه البصريون بعد أن تنفسوا الصعداء بموت "زياد". وأمر آخر لا سبيل إلى إغفاله هو هذا الثناء على "سمرة بن جندب" من غير واحد من أئمة العلم فإنه ليدل دلالة قطعية على أن الرجل كان يحكم دينه فى كل مايفعله.

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٣٦،ص٢٣٧. ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٦٢،ص٤٦٣.

أتت سياسة "زياد" بالبصرة ثمارها اليانعة بالنسبة لتجنيب أهلها شرور الخوارج حيث كانت أقل تعرضاً من الكوفة لنهبهم حيث إن "زياداً" سلك معهم سياسة قامت على المسالمة[١] حيناً وتجريد السيوف عليهم أحياناً، فاتسع صدره لمن قبل منهم العيش فى ظلال إمارته دون ترويع الناس وإرغامهم على اعتناق مذهبه.

فقد خرج فى عهده رجلان هما "قريب" و"زحاف" حين كان "زياد" بالكوفة و"سمرة" بالبصرة الذى استطاع التصدى لهما فألحق الهزيمة بابتاعهما. ولقد اشتد "زياد" وعامله فى ملاحقة الخوارج والتنكيل بهم وحذر البصريين من معاونتهم؛ (ياأهل البصرة وا لله لتكفننى هؤلاء أو لأبد أن بكم، وا لله لئن أفلت رجل منهم لا تأخذون العام من عطاياكم درهما)؛ فسار الناس إليهم فقتلوهم[٢].

و لم تشهد البصرة بعد ذلك فى عهده من ثورات الخوارج إلا اليسير فإن "زياد بن خراش العجلى" قد خرج فى سنة اثنتين وخمسين فى ثلاثمائة فأتى أرض مسكن من السواد فسرح إليه "زياد بن أبيه" خيلاً عليها "سعد بن حذيفة" فقتلوهم.

---

(١) محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٤٦. حسين عطوان: الأمويون والخلافة ص٨٤.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٣٧،ص٢٣٨. ابن عبدربه: العقد الفريد ج١، ص١٢٠، ص١٢١. محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ج٢، ص١١٧.

وخرج رجل من طئ اسمه "معاذ" فى ثلاثين رجلاً فبعث "زياد" من قتله وقتل أصحابه ويقال بل حل لواءه واستأمن[١].

ظل "زياد" يرقب حركات الخوراج وسكناتهم طيلة ولايته للبصرة ليدرأ باب فتنهم مااستطاع إلى ذلك سبيلاً ففطن إلى أنهم يستغلون النساء لما لهن من حرمة فى إنجاز المهام التى تسهل لهم أمرهم من اتصال بعضهم ببعض وإيصال الطعام إلى الهاربين منهم فألقى "زياد" القبض على امرأة منهن فأمر بقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء إلا بعد "زياد" ولكن إذا أرغمن على الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا[٢]، وإن كنا نسلم بما ذكر فلا نسلم بأنه عرى النساء.

وعلى الجملة فإن "زياد بن أبيه" قد عاون "معاوية" فى إخلاص لما ولاه البصرة وماذلك إلا لأن الخليفة أطلق يدهُ فى أن يولى من يولى ويعزل من يعزل من الرجال الذين يعاونونه، وكان يلين حين يشتد "زياد" على بعض الرعية فأسهم بلا ريب فى رأب الصدع بالبصرة مما سهل صعود نجم "زياد" فى البلاد، ولقد سهل "زياد" أمر مبايعة "يزيد بن معاوية" بولاية العهد فى حياة أبيه على الرغم من وجود معارضة خفية لدى العديد من جماعات البصريين[٣].

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٩١. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص٢٢١،ص٢٢٢. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموي ص١٤٤.

(٣) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٥٠، ص٣٥١، ص٣٥٤. محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى ص١٣٢-ص١٤٥.

ظل "زياد" يقوم بـأمر مصريه البصرة والكوفة حتى توفى سنة ثلاث وخمسين للهجرة بالطاعون وقيل بالفالج ودفن فى شهر رمضان من العام. قال عنه "عبد الله بن عمر": (اذهب إليك ابن سمية فلا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركت[١]).

عاشت البصرة فترة انتقالية بين "زياد" وولده تولى أمرها فيها "سمرة بن جندب" لمدة اختلف المؤرخون فى تقديرها فمنهم من قال: ثمانية عشر شهراً ومنهم من قال ستة أشهر تلاهُ فى حكم البصرة بعد ذلك "عمرو بن غيلان[٢]".

أما عن سبب عزل "عمرو بن غيلان" عن البصرة فإن "ابن الأثير" يذكر أنه خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بنى ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا: إن صاحبنا جنى ماجنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم؛ فاكتب لنا كتاباً إلى أمير المؤمنين يخرج به أحدنا إليه يخبره أنك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح. فكتب لهم، فلما كان رأس السنة توجه "عبد الله" إلى "معاوية" ووافاهُ الضبيون بالكتاب وادعوا أنه قطع صاحبهم ظلماً فلما رأى "معاوية" الكتاب قال: أما القود من عمالى فلا سبيل إليه ولكن أدى صاحبكم من بيت المال. فعزل "معاوية" بعد ذلك "عمرو" عن البصرة[٣].

---

(١) البلخى: البدء والتاريخ ج٦، ص٢،ص٣. خليفة بن خياط: التاريخ ص٢١٩. الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٨٨،ص٢٨٩.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢١٩. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٤٤-٣٤٦.

(٣) الكامل ج٣، ص٥٠١،ص٥٠٢.

وهكذا نرى العصبية القبلية تنشب أنيابها فى هذا الوالى لتفتك به ولما يستمتع بحكم مصره زمناً يسمح له القيام بأعمال تحكم له أو عليه.

ويتهيأ الجو بالبصرة لتستقبل والياً جديداً شهد شطراً من حكم "معاوية" ومدة حكم "يزيد" هو "عبيد الله بن زياد" الذى كان على غرار أبيه فى شدته الضابطة للمصر. فلما دخل البصرة أقام بها يسوس البلاد ويحاول التيسير على العباد فيقول البلازرى إنه أقام صهريجاً يحمل إليه الماء من دجلة ليكون مستعذباً للشاربين[١].

ولقد شهد حكم هذا الوالى بالبصرة حدثين على جانب كبير من الأهمية:

أولهما: ماكان من أمر ثورات الحرورية فى مصره كما كان قبلاً فى عهد أبيه.

وثانيهما: ثورة الحسين -رضوان الله عليه-.

فمن خلال معالجته للأمرين يستبين لنا الكثير من معالم شخصيته ومبادئ سياسته. فالنسبة للأمر الأول خرج فى عهد "عبيد الله بن زياد" غير واحد من زعماء الخوارج. فهذا "طواف بن غلاق" الذى كان وجماعة معه يجتمعون عند رجل منهم يسمى "جدار" فألقى "عبيد الله" القبض عليهم حين علم بهم وبأهداف اجتماعهم فحكم عليهم بأن يقاتل بعضهم بعضاً فمن نجى منهم أطلق سراحه وكان "طواف"

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٢٩٩. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٣٤٧.

ممن نجى فطفق يعض أصابع الندم على طاعته "لابن زياد" فيما أمر وراح يسأل ألا من توبة يغسل به كبيرته فقال له "الهثات بن ثور السدوسى": ماأجد لك إلا آية فى كتاب الله -عز وجل- قوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

فدعا "طواف" أصحابه إلى الخروج وإلى أن يفتكوا "بابن زياد" فبايعوه فى سنة ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلاً من بنى عبد القيس بالبصرة فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى "ابن زياد" فبلغ ذلك "طواف" فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجلحاء فندب "ابن زياد" الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقى "طواف" فى ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء فرماهُ البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله[1].

ومن الخوارج الذين قتلوا على يد "عبيد الله بن زياد" "عروة بن أدية" الذى اشتهر بنسبته إلى أمه فأدية "أمه" وقد كان أحد ضحايا "عبيد الله بن زياد" الذى أخذ بمبدإ الأخذ بالظنة والمعاقبة بالشبهة. فيذكر المؤرخون أن سبب قتله خروج "ابن زياد" فى رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس إليه وفيهم "عروة بن أدية" فأقبل "عروة" على "زياد" يعظمه فكان مما قال له: ﴿أتبنون بكل ريع آية

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٥١٦،ص٥١٧. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٣-٢٨٥. والآية الكريمة رقم (١١٠) من سورة النحل.

تعبثون ۞ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ۞ وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[١].

فلما قال ذلك ظن "ابن زياد" أنه لم يقله إلا ومعه جماعة فركب وترك رهانة فقيل "لعروة": ليقتلنك. فاختفى فطلبه "ابن زياد" فأتى الكوفة فأخذ وأتى به إلى "ابن زياد" فقطع يديه ورجليه وقتله وقتل ابنته[٢].

وجابه أخوه "بلال بن مرداس" عبيد الله بن زياد "أثناء ولايته للبصرة ولقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن "بلال" هذا كان من الدّين والخلق بمكان. فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر فى الخوارج وشهد "صفين" مع "على" فأنكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاهُ ورأى على "ابن عامر" قباء أنكره فقال: هذا لباس الفساق.

فقال: "أبو بكرة" لا تقل هذا للسلطان فإن من أبغض السلطان أبغضه الله. أما عن سبب خروجه على"ابن زياد" فى هذا الوقت هو أن امرأة تسمى "البثخاء" ندرت نفسها للعبادة والاجتهاد فوشى بها عند "ابن زياد" فذكرها فى مجلسه فأخبرها "بلال" بما كان من أمر الأمير فى شأنها وطالبها بالاستتار عن الطلب فأبت إلا البقاء حيث

---

(١) الآيات الكريمة: رقم (١٢٨،١٢٩،١٣٠) من سورة الشعراء.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٣١٢،ص٣١٣. النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٥. الخضرى: الدولة الأموية ص٤٤٠. د/ عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص٤٦١.

هى كى لا تصيب أحداً بأذى إن هو أخفاها فقبض عليها "ابن زياد" فقتلها.

فلما علم "بلال" بمآلها ثار ثورة كبيرة وأنشأ يقول: (أهذه أطيب نفساً بالموت منك يامرداس؟ ماميته أموتها أحب إلى من ميتة "البثخاء". ومر "أبو بلال" ببعير قد طلى بقطران فغشى عليه ثم أفاق قتلاً ﴿سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾(١).

وعلى الرغم من أن "ابن زياد" قد ألقى القبض عليه لما اشتد على الخوارج وإطلاقه سراحه إثر شفاعة السجان فيه عنده فقد عاد إلى التمرد ثانية فشهر الحسام فى وجه الأمير "عبيد الله بن زياد" فجرد إليه جيشاً بقيادة أسلم بن زرعة فسار إليه على رأس ألفى رجل فاستطاع "بلال" ومعه قرابة الأربعين رجلاً إلحاق الهزيمة بالبصريين فاستشنعها "عبيد الله" أيما استشناع مما جعله يبعث إليه جيشاً آخر بقيادة "عباد" فاستطاع التغلب عليهم بعد أن أخذهم على غرة(٢).

تلك كانت إلماعة عن أبرز ثورات الحرورية فى عهد "عبيد الله بن زياد" ومنها نتبين أنه جابههم بالقوة وتعقبهم حيث كانوا فقتل منهم الآلاف دون شفقة ونالت يده النساء مثلما فعل بابنة "عروة" حين أمر بقتلها لا لجريرة سوى أنها ابنة الرجل الذى أعلن التمرد عليه حيث إن

---

(١) الآية رقم (٥٠) من سورة إبراهيم.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٥١٨،ص٥١٩. ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١، ص٢١٨.

المصادر التى بين أيدينا لم تشر من قريب أو بعيد إلى دور لعبته القتيلة حين خرج أبوها على "عبيد ا لله" بالبصرة.

ويبدو أن "ابن زياد" قد أبهرته ساسة أبيه فحذا حذوه لينال بها شهرة فى دنياه غير مبال بما يترتب عليها من أشياء وأشياء لا يعلم بها إلا ا لله.

ثانيهما: موقفه من ثورة "الحسين" تلك الثورة التى كانت الكوفة مسرحاً لمعظم أحداثها ومن ثم فإنه لا يعنينى هنا تفصيل أخبارها وماكان من أمرها من لدن اشتعال نارها إلى أن استشهد بلهيبها "الحسين بن على" -رضوان ا لله عليهما- وإنما الذى يعنينا من هذا أن "ابن زياد" والى البصرة حين علم من "المنذر بن الجارود" أن "حسيناً" -رضوان ا لله عليه- قد كتب إلى أشراف البصرة كتاباً دعاهم فيه إلى كتاب ا لله وسنة رسوله ﷺ فإن السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت أخذ حذوه فلما جاءه "المنذر برسول "الحسين" إلى الأمير ضرب عنقه.

فى الوقت الذى كان فيه "يزيد بن معاوية" قد أزمع رأيه على جعل الكوفة تحت حكم "عبيد ا لله بن زياد" مع البصرة حين علم بضعف واليها "النعمان بن بشير" أمام الخطر الشيعى الذى يتهدد الدولة الأموية بها[١].

فرقى "عبيد ا لله" منبر المسجد الجامع بالبصرة قبل الخروج إلى الكوفة وألقى فيهم خطبة قال فيها: (ياأهل البصرة إن أمير المؤمنين

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥،ص٣٦١-ص٣٦٤.

ولانى الكوفة، وأنا غاد إليها بالغد، وقد استخلفت عليكم أخى "عثمان بن زياد" فإياكم والخلاف والإرجاف فوا لله لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم خلاف ولا شقاق إنى أنا "ابن زياد" أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه "مسلم بن عمرو الباهلى" وشريك بن الأعور الحارثى وحشمه وأهل بيته وكان "شريك" شيعياً وقيل: كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه وكان أول من سقط "شريك" ورجوا أن يقف عليهم فيسبقه "الحسين" إلى الكوفة فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده[١]).

وعلى كل حال فإن تهديدات "ابن زياد" أتت ثمارها فى البصرة فلم يخرج إلا واحد منهم مع "الحسين فقتل مع من قتل فى "كربلاء[٢]".

لم تعرف البصرة والياً جديداً عليها حتى توفى "يزيد بن معاوية" وكان ماكان من أمر "معاوية" الثانى ورفضه النهوض بأمر الأمة إذ ظل "عبيد الله ابن زياد" عليها حتى طوى التاريخ صفحة السفيانين من خلفاء بنى أمية لتعيش البصرة كغيرها من أمصار الدولة الإسلامية وسط بحر لجى تغشاه الأمواج وتعصف به الأنواء إلى أن تمكنت الأمة من إلقاء مرسى سفينتها على مرفأ الاستقرار لما كان عام الجماعة الثانى الذى

---

(١) النويرى: نهاية الأرب ج٢٠، ص٢٨٩.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥، ص٣٥٤.

هيأ الفرصة "لبنى مــروان" كــى يحكمــوا الدولـة الإســلامية بـلا منـازع لتعيش البصرة فى ظلال ولاة جدد أرسلتهم الأسرة المروانية.

وذلك ماسوف نتناوله -إن شاء الله- فى بحث لاحق نستكمل بـه مسيرة التاريخ لولاة البصرة فى الدولة الإسلامية.

والله ولى التوفيق

أ.د/ محسن سعد عبد الله
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر المنصورة

المراجع

أولاً: قائمة مصادر البحث

١- ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم الجزرى ت ٦٣٠هـ: الكامل فى التاريخ - طبع دار صادر - بيروت (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

٢- ابن أعثم: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى ت (٣١٤هـ/٩٢٦م): كتاب الفتوح - أشرف على نشره محمد عبد المعيد أستاذ آداب اللغة بالجامعة العثمانية: ط١ نشر مجلس دائرة المعارضة.

٣- البلخى: ابى زيد أحمد بن سهل البلخى: البدء والتاريخ المجلد الأول مكتبة الثقافة القاهرة بدون تاريخ.

٤- البلازرى: أحمد بن يحى ت ٢٧٩هـ: فتوح البلدان - تحقيق الدكتور/ صلاح الدين المنجد النهضة المصرية - القاهرة.

٥- الأصبهانى: أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين الأغانى: مطبعة دار الكتب المصرية سنة (٣٥٦هـ/٩٧٦م).

٦- الجاحظ: البيان والتبيين تحقيق فوزى عطوى - الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٨م.

٧- ابن الحجر: أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢هـ:

١- الإصابة فى تمييز الصحابة: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

٢- تهذيب التهذيب: دار الكتاب الإسلامى - إحياء ونشر التراث - القاهرة.

٨- خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى ت ٢٤٠هـ: تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق الدكتور/ أكرم العمرى - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٩م.

٩- الذهبى: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨م:

١- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - تحقيق حسام الدين القدس ج٣ خلافة أبو بكر - خلافة الإمام على ١٩٢٧م - دمشق.

٢- سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٣- العبر فى أخبار من غبر - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ط١ بدون تاريخ.

١٠- ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ: الطبقات الكبرى دار صادر - بيروت.

١١- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ: تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية دار المعارف - القاهرة.

١٢- ابن عبد الحق: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ت ٧٣٩هـ: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: تحقيق على محمد البجاوى - طبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط١ سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

١٣- ابن عبد ربه: أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى: العقد الفريد: تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإبيارى - دار الكتاب العربى بيروت - لبنان سنة (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

١٤- ابن كثير: أبو الفدا إسماعيل بن القرشى الدمشقى ت ٧٧٤هـ: البداية والنهاية - مكتبة المعارف - بيروت.

١٥- ابن منظور: لسان العرب دار المعارف القاهرة.

١٦- السعودى: أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦هـ: مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - دار الفكر - القاهرةى ١٩٧٣م.

١٧- المقريزى: تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ: إمتاع الأسماع ج١: تحقيق محمد عبد الحميد النميسى - دار الأنصار - القاهرة ط١ سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١٨- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب ج١٩: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥م ج٢٠ تحقيق على محمد البجاوى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

١٩- ياقوت الحموى: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى ت ٦٢٥هـ: معجم البلدان - دار صادر - بيروت ١٩٧٧م.

ثانياً: قائمة مراجع البحث

١- أحمد عطلية الله: القاموس الإسلامي: خمس مجلدات بدأت فى الصدور من سنة (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) مكتبة النهضة القاهرة.

٢- إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: دار الشروق للنشر.

٣- بكر العشرى: المغيرة بن شعبة وولايته على الكوفة: رسالة ماجستير جامعة القاهرة.

٤- دكتور/ حسين عطوان: الخلافة والدولة فى العصر الأموى: دار الجيل ط١ سنة ١٩٨٦م.

٥- دكتور/ صالح أحمد العلى: خطط البصرة ومنطقتها دراسة فى أحوالها العمرانية والمالية فى العهود الإسلامية الأولى: ط١ المجمع العلمى العراقى سنة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٦- الدكتور/ طه حسين: الفتنة الكبرى على وبنوه: دار المعارف القاهرة ط١١.

٧- عبد السلام الترمايني: أزمنة التاريخ الإسلامي: المجلد الأول تحقيق شاكر مصطفى المجلس الوطني للثقافة والآداب (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٨- أ.د/ عبد الشافى عبد اللطيف أستاذ/ التاريخ الإسلامى بجامعة الأزهر: العالم الإسلامى فى العصر الأموى: ط١ (١٤٠١هـ/١٩٨٤م).

٩- عبد المتعال الصعيدى: القضايا الكبرى فى الإسلام: ط٢ ١٩٦٠م - المطبعة النموذجية بالقاهرة.

١٠- على الطنطاوى - ناجى الطنطاوى: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر: ط٣ (١٣٩٢هـ/١٩٧٣م) دار الفكر القاهرة.

١١- محمد حلمى: الخلافة والدولة فى العصر الأموى: ط١ (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) مكتبة الشباب القاهرة.

١٢- محمد الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية: تحقيق الشيخ محمد العثمانى: ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) دار القلم للنشر والتوزيع القاهر.

١٣- محمود شاكر: التاريخ الإسلامى: ج٤ ط٧ سنة (١٤١١هـ/١٩٩١م) المكتب الإسلامى بيروت.

١٤- محمود نصير بك: أبطال الفتح الإسلامى: ط٢ مطبعة خلف القاهرة بدون تاريخ.